الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

جهود بن مضاء القرطبي في تيسير النحو العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي/ لغة عربية

إعداد الطالب(ة):

*- بلمهبول سمية.

*- بن تومي مروة.

إشراف الأستاذ(ة):

بومصران نبيل

السنة الجامعية: **2014/2013**

شكر وعرفان

الحمد لله خالق كل شيء ومنزل القرآن وعلم الإنسان ما لم يعلم

و الصلاة و السلام على خير الأنام محمد عليه الصلاة

و السلام و على آله و صحبه أجمعين فإن وفقنا من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا

نتقدم بالشكر الجزيل و الامتنان العظيم لاستأذنا الفاضل و الكريم " بومصران نبيل" الذي

أنار لنا الطريق ووجهنا التوجيه الحسن ولم يبخل علينا بمعلوماته القيمة وعطائه الدائم لإتمام

هذا العمل المتواضع .

وإلى كل الأساتذة الكرام و الطلبة الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

إهـداء

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا هدايته.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز اثنين في الوجود إلى من جعلهما الله سببا في وجودي إلى من اوجب الله طاعتهما إلى أغلى ما املك في هذا الكون.

إلى رمز التضحية إلى منبع الحنان ومواطن الأمان.

إلى أحلى ما ينطق به لساني" أمي الغالية".

إلى رمز الكفاح والصبر إلى قدوتي وسندي في الحياة " أبي العزيز".

إلى من قاسمتني الحلو والمر في هذا العمل " مروة بن تومي".

إلى أصدقائي الأعزاء الذين رافقوني طوال مشواري الدراسي.

إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها إلى أفراد عائلتي.

إلى أخوي: أمين وأيوب.

إلى أخواتي: سوسن، رقية، إيمان.

أطال الله عمرهم.

إلى أقاربي الأعزاء وأولادهم جميعا.

وإلى كل من أحبني وساعدني على إتمام هذا العمل.

سمية

إهداء

نحمد الله ونستعينه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات عمالنا واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله

الحـ . لله الذي ثبت قلبي بالإيمان ووفقني لأتم هذه المذكرة وأنار لي طريقي أهدي ثمرة جهدي إلى كل الأحباب :

إلى خير الأنام محمد وهادي البشرية محمد صلى الله عليه و سلم

إلى من أنفاسها كانت سببا في استمرار أنفاسي إلى من أهدتني الأفراح والبسمات وكانت بلسما للجراح وحملت عني كل أحزاني وآلامي ومن أعطتني و علمتني كل شيء ومن كانت حياتها بذلا وفداء لحياتي وفرجا لكربتي أمي الغالية أطال الله في عمرها وجعلني قرة عين لها

إلى رمز الكفاح والشجاعة معلمي المبادئ والقيم إلى من بذل حياته إكراما لسعادتي ونجاحي وكانت حياته كدا و تعبا ليوفر لنا العيشة الكريمة ومن علمني التحدي والصبر وكلماته وشما منقوشا في صدري ووصاياه نورا لي في الظلمات أبي الغالي نور العين الدنيا في حضنك جنة وجناحك يسترنا حفظك الله لنا وأطال عمرك

إلى من كانتا سندا وأنسا لي في كل الظروف أختيّ صورية ووسيلة الحبيبتين

إلى إخواني فاتح وخالد وعلاء الدين ومحمد وناجي

والكتكوت سيف الإسلام وياسر وآية وهيثم والصغير عماد

إلى رفيقتيّ في دربي نوال وزينب العزيزتين

إلى شريكتي ورفيقتي في انجاز هذه المذكرة سمية بلمهبول

إلى كل من شجعني ولو بدعاءأوابتسامة وجعلتني أتفاءل لإتمام هذه المذكرة

لصواب وأسال الله أن نكون قد وفقنا إلى والسدا

المقدمـــــة

مقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل على نبيه القرآن وألهمه الفصاحة و البيان عليه الصلاة و السلام و على آله وصحبته ومن سار على دربه واقتدى بهديه إلى يوم الدين.

ان اجماع العلماء و الدارسين على حفظ اللغة العربية و حماية القرآن الكريم و الحديث الشريف من الخطأ واللحن ما جعل العلماء يسارعون في وضع قواعد حماية القرآن وتسهيل قرائته، حيث سعى النحويون إلى إستنباط القواعد النحوية لتسهيل قراءة القرآن وضبط تلاوته ومع هذا الإجتهاذ جاء علم النحو فكثرت الإجتهادات و المؤلفات في هذا العلم مما أدى تعقيده وصعوبة قواعده وطوق بالمصاعب من تعليل وقياس، فجاءت محاولات لتسييره فأرادوا تبسيطه وتخليصه مما يثقله ويعقده، وقد اخترنا نحويا من بين هؤلاء النحاة وهو" ابن مضاء الاندلسي" الذي قام بثورة على النحاة و على التعقيدات النحوية ومحاولة تجديد النحو ومؤلفاته، وهي من أشهر الكتب في تراتنا النحوي وقد اخترنا هذا الموضوع لأنه أثار في نفوسنا حب المعرفة و الإطلاع عليه ولأننا نريد توسيع مدار حول هذا التجديد و التسيير على النحو العربي.

ومن هذا المنطلق تبادر إلى أدهاننا العديد من التساؤلات:

- كيف دخل النحو العربي إلى الاندلس؟.
- كيف أعتنى الاندلوسيون بالنحو؟.
- ما هي دوافع التسير النحوي عند الاندلوسيين؟

- من هو أشهر الثائرين على النحو المشرقي؟.
- ما هي جهود ابن مضاء في تسير النحو؟.
- ماهي الأسس التي قامت عليها نظرية ابن مضاء؟.
- كيف كانت نشأته وما تأثير المذاهب على آرائه النحوية؟.

معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي الذي ساعدنا على الإجابة على هذه التساؤلات حيث اننا وصفنا حركة التسيير و التجديد عند"ابن مضائ" واعتمدنا على التحليل لمؤلفاته النحوية ونظرياته الجديدة ومن هذا ما ساعدنا في محاولة رصد و ابراز أسس ثورته ودوافع تسييره وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على الخطة التالية:

- مقدمة أشرنا فيها للموضوع.
- مدخل تناولنا فيه نشأة النحو العربي و مراحل تطوره وأهم المدارس النحوية، وكذلك أهم وأشهر النحاة ومؤلفاتهم حتى الفصل الأول " دخول النحو إلى الأندلس" وخصصنا الفصل الثاني المعنون ب: نبدة عن ابن مضاء وجهوده النحوية لنتحدث عن جهود و مؤلفاته و حياته، وأما في الفصل الثالث فهو معنون ب: "نظريات ابن مضاء النحوية" حيث درسنا الجانب التطبيقي لنظرياته من انكار للعامل و العلل و التأويل و القياس.

الخاتمة: حضرنا فيها ابرز النتائج التي استنتجناها من النقاط التي ذكرناها سابقا وقد اعتمدنا في عملنا هذا على الدراسات السابقة من أهمها:

"المدارس النحوية" "لشوقي ضيف" وأصول النحو العربي في نظرة النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث"لمحمد العيد" و"التجديد النحوي" عند "شوقي ضيف" ومن بين المصادر و المراجع التي استعملناها في هذا العمل"الرد على النحاة" "لابن مضاء الأندلسي" وطبقات "النحويين اللغويين" "لأبي بكر الزبيدي" "ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية" "لمعاد السرطاوي".

وأثناء إنجازنا لهذا العمل واجهنا مجموعة من الصعوبات مثل قلة المصادر و المراجع وفقدان بعضها.

وفي الأخير نتقدم بخالص الشكر و التقدير و العرفان إلى أستاذنا الفاضل و الكريم الذي بذل قصار جهده من اتمام هذا العمل و إخراجه على أكمل صورة ونرجوا من الله أن نكون قد وفقنا في العمل بعض التوفيق.

لمحة عن النحو العربي وخاصة في الأندلس:

كان العرب أهل البيان والفصاحة بالفطرة فلم يحتاجوا القواعد تضبط لغتهم وكانت ألسنتهم خالية من اللحن فهذا ما جبلوا عليه وتوارثوه ولما جاء فجر الإسلام ودخل الأعاجم فيه وتوسعت الرقعة الإسلامية بسبب الفتوحات مالت ألسنة العرب إلى اللحن و الزلل، وأدت إلى الخروج عن أساليب وأصول الكلام فخاف العرب عن القرآن من اللحن وحرضوا على الحفاظ عليه وحمايته مما استدعى وضع قواعد وأصول اللغة العربية لحمايتها من التحريف وضبط قراءة القرآن الكريم ومن هنا نشأ علم النحو حيث سعى العرب إلى استنباط القواعد و الأحكام لحفظ النص القرآني و أحكام اللغة.

وقد سار في هذا الدرب مجموعة من العلماء الأجلاء وكانت البداية في وضع وتأسيس هذا العلم على يد الإمام "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه حينما عهد إلى "أبي الأسود الدؤلي"أن بنحو فوضع أبو الأسد منه الأصول الأولى وتابع تلامذته النبهاء عمله مثل "عنبية الفيل"،"ميمون الأقرن" و"نصر ابن عاصم" ثم جاء"ابن أبي إسحاق الحضرمي" ففتق أنهاره وشرح علله ومد قياسه، ويأتي دور أبي عمرو بن العلاء ليضع الأوامر بين اللغة و النحو ويوثق الصلات بين أوجه القراءات القرآنية وسماع العرب وبين القواعد النحوية[1]، وقد نشأت عدة مدارس نحوية سعت إلى ضبط ووضع قواعد للنحو العربي وتعد البصرة هي

1: محمد المختار ولد اباه : تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1971، ص 19

أولى المدارس التي وصفت النحو حينما وضع أبو الأسود الدؤلي نقط الإعراب ..... ويعد "بن إسحاق الخضر مي" أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة[1]فهو أول من تعق في النحو ومد القياس وشرح العلل وهذا ما يعطيه الأسبقية في وضع علم النحو حيث أنه تحمل ما لم يسمع العرب عن العرب على ما سمع عنهم ثم يأتي تلميذه "عيسى بن عمر الثقفي الذي تابع طريقه يطرد القياس عنهم ويعممه،ثم يأتي تلميذه الآخر"أبو عمرو بن العلاء" الذي هو أحد القراء السبعة المشهورين وعين بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها ووقائعها وفي ذلك يقول عنه الجاحظ:"كان أعلم الناس يا الغريب و بالعربية وبالقرآن والشعر و أيام العرب والناس"[2]، ثم يأتي يونس بن الحبيب الذي سمع كثيرا عن العرب مما جعله راويا كبيرا منرواة اللغة والغريب ولعل ذلك ما جعله يصف كتابا في اللغات وكانت حلقته تغص با الطلاب وفي مقدمتهم "أبو عبيدة اللغوي"و"سيبويه"[3]، ثم يأتي "الخليل بن أحمد الفراهيدي" البصري حيث كان عقله من العقول الخصبة النادرة فكان شففه بالعلم كبيرا وتميز بالدقة في الاستنباط وهو واضع علم العروض في الشعر العربي الذي أذهل كل من وقف على وضعه لعروض الشعر ورفعه لصرح النحو ورسمه المنهج الذي ألف عليه أول معجم في العربية "العين" وأعتمد على السماع و التعليل و القياس في إقامة قواعد النحو، وبقية حلقة البحث والاستنباط مستمرة مع بقية النحاة واللغويين الذين واصلوا الاجتهاد وأفنوا

1: شوقي ضيف : المدارس النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ط7، 1119، ص 22

[2]: شوقي ضيف: المدارس النحوية ، ص27

[3] : المرجع نفسه ص 28

أعمارهم بحثا عن القواعد وأسرار اللغة العربية ويعد "سيبوبه" من نحاة البصرة أيضا الذي لزم حلقة اللغويين والنحويين وفي مقدمتهم "عيسى بن عمرو" وقيل عنه أنه أعلم الناس عن النحو بعد الخليل وألف كتابا لم يسبقه أحد قبله ولم يلحق أحد به من بعده،وسماه الناس قرآن النحو وقال عنهما عدا بن أحمد الأندلسي"لا أعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها أشتل على ذلك

العلوم وحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاث كتب،أحدها المحبس طي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك و الثاني أرسصطاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبوبه البصري النحوي،فغن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من الأصول فيه شيء إلا ما خاطر له"[1]وبعد المدرسة البصرية جاءت المدرسة الكوفية وتبدأ بالرؤاسي مؤلف كتاب"الفيصل" ويأتي بعده معاذ الهراء عرف بشدة بالأبنية وبعده الكيمائي الذي ذاع وذكره حتى وصل إلى أمير المؤمنين المهدي في بغداد وضمه إلى حاشية ابنه الرشد ومن هنا ساد المذهب الكوفي وتكاثرت أتباعه وعز علماؤه، ويعد أبو الحسن علي بن الحسن المعروف

ب"الأحمر" من نحاة البصرة حيث استخلف الكيمائي[2] ويأتي الفراء واللحياني وابن سعدان وثعلب وقد حدث اختلاف بين الكوفيين والبصريين لأسباب كثيرة وهناك مدارس مختلفة ساهمت في إثراء النحو ودراسته من بينها المدرسة البغدادية والتي ضمت كل من ابن كيان

---

[1]: شوقي ضيف ك المدارس النحوية ، ص 60

[2]: أحمد الطنطاوي كنشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة: دار المعارف ، القاهرة ، ط2، ص118

والزجاجي وأبو علي الفارسي وابن حني وهناك في الأخير نحاة متأخرون مثل محشري وبعد هذه المدرسة نشأة المدرسة الأندلسية فقد احتلت الأندلس مكانة بغداد بعد اشتداد الفتن واضطراب الحكم فقدها جر الكثير من العلماء إليها وقد وصلت إلى الأندلس كتب المشرق قبل ذلك وسافر بعض علماء "المشرق"الأندلس إلى المشرق وعودتهم إلى بلادهم مزودين بعلوم الشارقة زيادة على ما جلبوا معهم من المؤلفات.

ويقول المرحوم الشيخ محمد الطنطاوي: "وقد تجاوب مع هذه الرحلات المشرقية في رفع شان اللغة العربية تقاطر الشارقة وتوافد كثير من علمائهم إلى الأندلس لتوافر الرغبات في النزوح إليها ماديا وأدبيا، ومن رواد الأندلس أبوعلي القالي الذي رعاه أحسن رعاية " الحكم المستنصر ولي عهد أمير المؤمنين عبد الرحمان الناصر سنة 330هـ،ثم يستطرد في أن حركة علم النحو نمت في ظل الأمويين وازدهرت وازداد ازدهارها في عصر ملوك الطوائف الذين قاموا على أنقاض الأمويين"[1]، فقد ظهرت حركة علمية مزدهرة بسبب تشجيع ملوك الطوائف و تقديرهم للعلماء.

وبعد ظهور تلك الحركات العلمية التي يقودها علماء يصارعون علماء الشرق، ومن هؤلاء أبوعلي القالي الذي يقول عنه الدكتور شوقي[2] بين انه قاذفي الأندلس نهضة لغوية ونحوية خصبة كان مقوله فيه على ذخائر اللغة والشعر و النحو التي حملها معه من المشرق وكان

1: فتحي بيومي حمودة، ما فات الإنصاف في مسائل الخلاف ، جامعة ، ص 29

2: شوقي ضيف المدارس النحوية ص290، سبق الإشارة إليه

مما حمله معه كتاب سيبويه أخده عن ابن دار سيبويه عن المبرد،وكان يجنح إلى مذهب البصري وبنافع عنه مناظرا ومجادلا وقد سبق دخول كتاب سيبويه دخول كتاب ألكسائي، فقد قيل أن أول من دخل كتاب الكسائي هو جدوى بن عثمان العسس الذي كان يؤدب أولاد الحلفاء بالعربية وقد رحل إلى المشرق و أخد عن ألرياشي والغراء والكسائي، وأدخل كتابه إلى الأندلس وتوفي سنة 196هـ[1]فانتشرت مبادئ العربية عن طريق مدارسة النصوص والإشعار للشباب في قرطبة وغيره من الحواضر من طرف المؤدبين.

سعى مؤدبو الأندلس إلى ترسيخ مبادئ العربية للحفاظ على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته وبذلك كان أكثرهم قراء الذكر الحكيم وكما ذكرنا سابقا فقد كان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها إلى الناس بجميع إشارتها كما يرسمون اللغة العربية بمقوماتها اللغوية[2]، ومن أجل هذا ليس من العجيب تأليف المشهورين من هؤلاء المؤذيين يعنون بتأليف في القراءات ويتقدمهم أبو موسى الهوا ري وهو كما يقول "الزبيدي:"أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب في الأندلس،رحل في أول إمارة عبد الرحمان الداخل (138–172) فلقي مالكا ونظراءه من الأئمة ولقي الأصمعي وأبا زيد ونظرائهما داخل الأعراب في محاملها وله كتاب في القراءات[1]) وسعى نحاة الأندلس إلى استيعاب التراث النحوي وفهمه ولكنهم بدؤوا بالنحو الكوفي والبصري والبغدادي ولكنهم لم

1: فتحي بيومي حمودة: ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف ، ص30

2: شوقي ضيف : المدارس النحوية ص 288

1 : : مرجع نفسه

يكتفوا بذلك بل يسيرون في اتجاههم من كثرة التعليمات والنفوذ إلى بعض الآراء الجديدة وبذلك يتيحون لمنهج البغداديين مرويا من الخصب والنبهاء ومن أشهر نحاة الأندلس والذي كان له فضل كبير ورؤية جديدة للنحو العربي.

الفصل الأول

الفصل الأول:

1- دخول النحو إلى الأندلس.

2- عناية الأندلسيين بالنحو.

أ- الكوفي.

ب- البصري.

3- دوافع تسيير النحو عند الأندلسيين.

4- أشكال التسيير و صوره.

دخول النحو العربي إلى الأندلس

لاشك أن الحركة العلمية في الأندلس اعتمدت في بادئ الأمر على علوم الإغريق، وما إن سطعت شمس الإسلام علا بلاد الأندلس حتى أخذت تستقي من منهل العلم الإسلامي، وكان الفتح الإسلامي لتلك البلاد بداية لنشر مختلف العلوم فيها،وتخليصها من قمة الجهل وظلماته فانتشرت في تلك البلاد كل العلوم التي كانت منتشرة في تلك الفترة،من علوم الفلسفة، والطب والنبات وعلوم اللغة وغيرها[1]، وكان لعلوم اللغة العربية وعلم النحو على وجه الخصوص نصيب عظيم من اهتمام الأندلسيين،كما هو حاله في المشرق العربي وليس غريبا أن يلقي هذا العلم اهتماما كبيرا عند أهل المشرق و المغرب وذلك لصلته الوثيقة بمصدري التشريع الإسلامي لقرآن الكريم والحديث الشريف،حيث غزا مرض اللحن العربية الفصيحة وأصبح الخطر يقترب شيئا فشيئا إلى القرآن الكريم[2] فقام أبوا لأسود الدؤلي بتحديد علم النحو بإرشاد الإمام علي رضي الله عنه[3]، فكانت نشأة النحو مشرقية أو عربية محضة[4]، وكان للأندلس حظ وافر فيها وأن الأندلسيين العرب و المؤدبين منهم كانوا يعلمون طلباهم النحو مند الفتح ونهاية الحرب، فكانوا يضعون لطلابهم نصوصا مختلفة ويشرحونها معهم ويشبعونها نقاشا كل لذلك لنشر اللغة العربية وعلومها في أواسط الأسبان المستعربين،وكانت تلك النصوص بسيطة سهلة بعيدة عن المشدود والتعقيد ليسهل فهمها وذلك لسببين:

1: عبد البديع الخولي : الفكر التربوي في الأندلسي ، الفكر العربي ،ط2، 1985ص 42

2: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة تحقيق على عبد الواحد الوافي ، نهضة مصدر القاهرة ، ط4، 1960،ص3

3: محمد الطنطاوي: نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة

4: المرجع نفسه ، ص10

السبب الأول:

يتعلق بالجمل والكلمات التي يدرسونها أو يدرسونها لطلابهم حيث أنها تتكون من كلمات ومفردات والمفردات هي مكونات الجمل و النحو يدرس الجملة وليس المفردة، لان علم النحو يأتي بعد إكمال الجمل.

السبب الثاني:

ويتعلق بالمؤدبين أنفسهم،هؤلاء المؤدبون ما كانت عندهم معرفة تامة بعلم النحو أو بقواعده التي أرست في المشرق فكانت معرفتهم به سطحية وبحاجة إلى تعزيز وتدعيم،وبقي الأندلسيون على هذا الحال حتى عرفوا الرحلات إلى المشرق العربي،فرحلوا في طلب العلم الشرعي و العلم اللغوي وغيرهما من العلوم[1].

وكان جودي بن عثمان* أول نحاة الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق ،ودرسوا النحو العربي على يد قلة من علماء المدرسة الكوفية،كال كسائي والفراء، شيخي مدرسة الكوفة ،حيث إن إهتمام الأندلسيين بالنحو الكوفي أو المدرسة الكوفية كان أسرع من اهتمامهم بالنحو البصري وبقي جودي بن عثمان يدرس النحو لطلابه وينشره في بلاد الأندلس حتى وافته المنية، ولم يكن النحو الوحيد الذي رحل طالبا للعلم بل كان غيره الكثير من بينهم عبد الملك بن حبيب السلمي الذي كان من كبار علماء النحو في الأندلس وقد تأثر عدد من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق بالخد اللغة و النحو من علماء المشارفة بهؤلاء العلماء ومذاهبهم النحوية و الفكرية، وجودي بن عثمان لقي ألكسائي والفراء و أخد منهما النحو الكوفي ونشره في بلاد الأندلس.

---

[1]. عبد البديع الخولي : الفكر التربوي في الاندلس

هو جودي بن عثمان، مولى لآل طلحة رحل إلى المشرق فلقي الكسائي و الفراء وغيرها ، وهو اول من اخل كتاب الكسائي إلى الاندلس وله تأليف في النحو

***أبوبكر الزبيدي: طبقات النحويين و اللغويين، دار المعارف ، ط2،مصر، 1973،ص256**

دوافع تسيير النحو لدى الأندلسيين:

عندما فتح المسلمون الأندلس شهر علمائها عن سواعدهم يريدون أخد علم النحو من علماء المشرق، ولاحظوا صعوبة هذا العمل،وما علق به من شوائب ،فعمل عدد منهم على تخليص هذا العلم مما أقحم عليه من فلسفات عربية عنه ،وكانوا يقصدون من وراء ذلك أن يقف طلابهم على هذا العلم ميسرا ذلك لكي تتمكن الشعوب المستعربة والجماعات العربية التي ابتعدت عن قواعد هذا العلم و أحكامه من فهمه بيسر وسهولة.

يمكن إن نضع عدة أسباب وعوامل دفعت علماء الأندلس إلى تيسير النحو العربي وتخليصه من شوائبه على مر العصور خلت لعل من أهم تلك العوامل:

أولا:اختلاف الأجناس التي كانت تسكن في الدولة الإسلامية وصرع اللغات فيما بينهم

"فهناك العرب الفاتحون الذين جاؤوا حاملين لغته ذات الصيغة اليمينية"[1] وقد استقروا في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، وهناك أيضا البربر الذين كانوا يشكلون نسبة عظيمة من جيش طارق بن زياد فاتح الأندلس،وقد زاد عدد البربر بعد الفتح إلى أضعاف كثيرة جدا، وفي هذا الصدد يقول المقري: "تسامح الناس من أهل بر الغدوة بالفتح على طارق بالأندلس،سعة الغنائم فيها فأقبلوا نحوهم من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب فلحقوا بطارق فأرتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون و القلاع وتهابوا من السهل ولحقوا بالجبال"[2]

إن هذا الكلام لا يعني وجود عرب في جيش طارق بن زياد مع أنهم كانوا أقلية قليلة وكان أيضا اليهود الذين كانوا موجودين قبل الفتح الإسلامي،وقد رحلوا بالفاتحين ليخلصهم من ظلم القوطة وكان هناك أيضا عجم الأندلس وهم السكان الأصليون الذين كانت لهم لغتهم الخاصة.

1: مطلق، ألبير حبيب: الحركة اللغوية، المكتبة العصرية ،لبنان، 1967، ص 29

2: أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، لبنان، ط3، 1968، ص 159

وقد كانوا العرب يسعون لنشر اللغة العربية في الأندلس،لأنها لغة القرآن الكريم ولا يتعلم الذين دون تعلمها، لذلك وجد علماء الأندلس من الواجب تقديم اللغة العربية بشكل مبسط بعيدا عن التعقيد حتى تكون تلك اللغة محفزة لغير العرب من أجل تعلمها وحفظ قواعدها،وكذلك لتكون اللغة ذات نحو قوية يستطيع مناقشة اللغات الأخرى لذلك انبرى عدد من النحاة الأندلس إلى تبسيط تلك القواعد ليستهل حفظها و نشرها.

ثانيا: البعد الجغرافي بين الأندلس و المشرق العربي مولد النحو.

أوجد البعد الجغرافي عن مصدر اللغة والنحو عند الأندلسيين ضعفا في فهم قواعد اللغة العربية التي وضعها العلماء،وساهموا في تعقيدها، والقياس فيها، لذلك لم يكن أمام نحاة الأندلس إلا اللجوء إلى تبسيط تلك المصنفات النحوية المشرقية إما بشرحها وتوضيح غيرهما، وبيان شكلها تارة أو باختصارها والتعليق عليها تارة أخرى كل ذلك حتى تنسجم تلك القواعد مع عقلية أناس من قوميات متعددة ومختلفة،وحتى يستطيع طلاب الأندلس ومن العرب المسلمين فهم تلك القواعد لأن فهمها أصبح شيئا صعبا بعدما أصابها التعفر والفلسفة النحوية.

ثالثا: دعوة عدد من العلماء في بلد الأندلس إلى تبسيط النحو و تيسيره على المتعلمين.

وذلك بعد أن أفسد النحاة النحو بتعليلاتهم وشروحا تهم،وكان من أشهر هؤلاء العلاء عالمان من فلاسفة الأندلس هما: العالم الفقيه ابن حزم الأندلسي و الفيلسوف ابن رشد،فإن بن حزم "لم يكن نحويا،"ولم يذكر كتابا في النحو زلا عرف بإمامه فيه"[1] ولذلك لانصرافه إلى علوم الشريعة الإسلامية، ونلاحظ عنده اهتماما عظيما بعلم النحو فهو قد حث الطلبة على تعلمه كما دعي إلى التخلص من علل النحو ودعي إلى عدم التعمق فيه – حسب رأيه – فضول لا منفعة فيه وهذا الكلام أجرأ الآراء التي جاء بها ابن حزم حيث عد العلل النحوية فاسدة يجب التخلص منها[2] مع

1: سعيد، الأفغاني: من تاريخ النحو، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1980، ص103

2: أبو محمد علي ، ابن حزم: التقريب لحد المنطق، دار مكتبة الحياة، لبنان ، ط1، 1900

رفض ابن حزم لموضوع العلل النحوية أسوة بالعلل الفقهية فإنه لم يقدم لنا قصور حول مصير النحو بعد أن تزول العلل التي أرقت ابن حزم وغيره.

قد ذهب ابن حزم إلى أبعد من ذلك في دعواه إلى تسيير النحو، حيث حدد الكتب التي يجب على الطلبة دراستها وذكرها بأسمائها فقال:

"إن أقل ما يجزء منه – أي النحو– كتاب الواضح للزبيري، وما كان نحوه كالموجز لابن السراج"[1] وهذه الكتب التي أختارها ابن حزم مادة تدريسه لعلم النحو لأنها كتب سهلة بعيدة عن التعقيد والمغالاة في النحو و خالية من العلل وإذا انتقلنا إلى الفيلسوف الآخر وهو ابن رشد فإننا نجد له رأيا في النحو العربي وقد ظهر هذا الرأي في كتابه "الضروري في علم النحو" الذي ألفه وجعل غرضه أن يذكر من علم النحو ما هو ضروري لمن أراد أن يتكلم على مادة العرب في كلامهم ويتحرى في ذلك ما هو أقرب وأسهل تعليما وأشد تحصيلا للمعاني وقد أشار في كتابه إلى التداخل بين الموضوعات والمستويات في كتاب "النحو العربي" وهو تقصير يرجع سببه – كما يرى– إلى النحاة.

وقد التقى ابن رشد في كتابه "الداعي إلى تسيير النحو"مع ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة" الكتابان تجمع بينهما غاية وهي تيسير النحو العربي.

ولكن يفرق بينهما الطريقة والمرجعية: ابن مضاء يتحرك داخل بنية النحو العربي، كما كانت منذ سيبويه مع إسقاط كل ما لا يفيد نطقا الشيء الذي يربطه بظاهرية ابن حزم أما ابن رشد فيريد أن يعيد بناء النحو العربي وفق الترتيب المشترك لجميع الألسنة[2].

1: أبو محمد ، ابن حزم: مراتب العلوم ص64

2 : شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص288

- عناية الأندلسيون بالنحو العربي:

لا نكاد نمضي في عصر بن أمية في الأندلس (138-422 هـ) حتى تنشأ طبقة كبيرة من المؤدبين الذي كانوا يعلمون الناس أو الشباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية عن طريق مدارسة النصوص و الأشعار، يدفعهم إلى ذلك حفاظهم على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته، وبذلك كان أكثرهم قراءة الذكر الكريم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقون القراءات، ويعودون إلى موطنهم فيرسمونها للناس بجميع شاراتها كما لهم العربية بمقوماتها اللغوية.

ومن هنا بدأت مرحلة الدراسة و البحث في الكتب النحوية بهدف حماية القرآن من اللحن و أول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي "جودي بن عثمان"المروي الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ "لكسائي" والفراء، وهو أول من أدخل إلى موطنه كتب الكوفيين وأول من صنف به في النحو ويدرسه لطلابه بالإضافة إلى الكتب البصرية مع أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري و أنها صبت اهتمامها بالنحو الكوفي حيث اتبعت جودي بن عثمان وذلك لأسباب سنذكرها فيما بعد.

أ- بالكوفي:

لعل تقديم النحو الكوفي ودراسته على النحو البصري لأسباب تبرر هذا الاهتمام ومن أهمها **نشأت المدرستين:** فالمدرسة البصرية اهتمت بدراسة النحو العربي قبل المدرسة الكوفية بنحو مئة عام تقريبا، ولما أقبل الأندلسيون لدراسة النحو العربي، وجدوا أن النحو البصري كان قد وصل إلى مرحلة النضوج والانتشار في البلاد، أما النحو الكوفي في بدايته والآراء النحوية عندهم بسيطة عن الغموض والتعقيد يتناسب ومستواهم العلمي في النحو وهذا ما جعلهم ينصبون على النحو الكوفي قبل البصري الذي يتسم بالتعقيد.

1- كثرة الرواية عن العرب:

تعرف المدرسة الكوفية بأن علمائها أهل شعر ورواية عن العرب و فصحاتهم لذلك ابتعدوا عن المنطق و المقاييس العقلية،رغم أن مدرسة البصرة لم يكن لدى علماءها نفس درجة الكوفيين في الشعر و أخبار العرب، لذلك عوضوا هذا النقص باستعمال العقل للقياس ووضع قوانين مشددة للمقياس، حيث اعتبروا الخطأ في القياس جريمة عكس الخطأ في الرواية فهو أمر عادي حيث قال عن ذلك"أبو الفارسي":(أخطئ في خمسين مسألة في اللغة العربية ولا أخطئ في واحدة من القياس [1])، وهذا ما دعي الأندلسيون إلى الابتعاد عن المدرسة البصرية.

1- اعتماد الكوفيين على السماع و التقليل من القياس:

لم يهتموا بالكثرة أو القلة،ولا يرى الكوفيون انه هناك تفضيل بين اللهجات أو القبائل، فكل القبائل فصيحة اللغة فهم يحترمون كل ما جاء عن العرب[2] فيسر القواعد النحوية الكوفية هو ما شد الأندلسيين إلى النحو الكوفي دون غيره.

2- طبيعة الكتب الكوفية التي درسها الأندلسيون:

اتجهوا في مبادئ الأمر إلى السهل من الكتب وخاصة أول كتاب أدخل على يد "جودي بن عثمان"وهو كتاب"مختصر النحو""للكساء" وما يبدوا أنه كان صغيرا ومبسطان مختصرا يوصل إلى الفائدة دون التوسع في القياس فهو أنسب وسيلة تعليمية للمبتدئين في النحو العربي لفهم القرآن واللغة العربية، وقد ظل النحو الموفي مسيطرا على الأندلسيين لسنوات حتى تمكنوا من النحو المختصر السهل إلى النحو الآخر وهو نحو البصرة وقياسه و أحكامه، لينظموا النحو الكوفي وما

1: شوقي ضيف : المدارس النحوية، ص 264 .

2 : : بدوي أحمد أجمد : سيبويه حياته وكتابه ، مكتبة نهضة مصر، ط2،ص12

فيه خلط بسبب اعتماده فقط على السماع بمثال واحد فقط، مما خلق اضطراب في النحو العربي[1]، وأفسد سماع "ألكسائي" – شيخ المدرسة الكوفية – للشاذ الذي لا يجوز إلى في الضرورة، وجعله أصلا يقيس عليه أفسد هذا النحو العربي[2]، لذلك وجه علماء الأندلس بحوثهم وجهودهم نحو المدرسة البصرية و علمائها فأخذوا النحو البصري الذي طبع به نحوهم فيما بعد.

حيث أعتمد الأندلسيون دراستهم للنحو البصري على مجموعة من الكتب التي أخلها مجموعة من الباحثين و العلماء الأجلاء لإثراء القواعد النحوية و تأصيدها لدى النحاة.

أشكال التسيير و صوره:

من المعروف لدى دارسي النحو العربي و الباحثين فيه، أن" سيبويه" قد أكمل النحو العربي من ألفه إلى يائه،وذلك في (الكتاب) الذي يعد أقدم كتاب في النحو و الصرف بين أيدينا حتى الآن فكان سجلا لأراء "الخليل بن أحمد" أستاذ "سيبويه"[3]، على أن سيبويه استفاد من العلماء الذين عاصروه مثل"يونس بن الحبيب" و"يعقوب بن إسحاق الحضرمي" و"أبى فريد الأنصاري "وغيرهم وقد قال "أبو عثمان المازني" عن كتاب "سيبويه":(من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليتسع[4]) فلم يغفل سيبويه من علم النحو شيء جوهري.

إن التغيير الذي لحق النحو العربي كما قدمه "سيبويه" من العلماء لم يأتوا الجديد بل انصبوا على تفسير و شرح كتاب سيبويه و توضيح مشكله، ورغم تعمق بغض العلماء في النحو العربي المعقد وسيطرتهم على خيوط وقواعد هذا العلم،وصب عليهم أن يضيفوا إليه قواعد جديدة فعادوا إلى الأصول ولم يكملوا ما انتهوا إليه من العلم حيث بحثوا في قواعد لغات لها تأشير على قواعد اللغة

1 : شوقي ضيف : المدارس النحوية ص 162

2 : : بدوي أحمد أحمد : سيبويه حياته و كتابه ص 12

3 : محمد الطنطاوي : نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، ص48

4: أبوحيان علي بن محمد العباس التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ص2

وصار النحو صعبا على الكثيرين لذلك كان لا بد من التيسير و التقريب لأذهان المتعلمين وقد أتخذ التسيير عدة أشكال وصور أهمها:

أ- تخليص النحو ما أقحمه بعض العلماء ما ليس منه،حتى بدا هذا العلم غريبا على أصحابه الحقيقيين من عرب البوادي فقد روي أن أعرابيا وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخلونه معه، فحار و عجب وأطرق ووسوس إقفال الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب قال: أراكم تتكلمون بكلامنا بما ليس من كلامنا[1]، النحاة يتكلمون اللغة و لكنهم يقحمون عليها ما ليس منها، ما أثار استهجان ذلك الأعرابي فهو من مصادر اللغة، ولكنه لم يتكلم الأخفش و غيره عنها.

ب- تنظيم الأبواب النحوية و ترتيبها: فقد كانت تعاني بعض مصادر النحو ومصنفاته من اضطراب في تتالي الأبواب وفي توزيع عناصر الباب الواحد، وغموض العناوين وعدم دقة المصطلحات وعدم تطابق العناوين مع ما تحتها ،ويمثل كتاب سيبويه خير نموذج لهذه الأحكام مع انه يمثل أكمل و أنضج محاولة في التأليف النحوي قديما و حديثا[2].

فقد روى "المبرد" عن المازني انه قال: "قرأ علي رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال لي: أما أنت فجواك الله خيرا، وأما أنا فما فهمت حرفا[3]، وهذا ما دعي مجموعة من العلماء للاجتهاد والبحث لشرح هذا الكتاب و تعليق عليه.

ج- الاختصار والإيجاز الغير المخل لأن معظم الكتب كانت تعاني من الطول المفرط الناشئ عن التكرار و الاستطراد و الحش و معالجة المسائل الأجنبية التي لا صلة لها بالنحو فضلا عن

1: أبو حيان علي محمد العباس : الإمتاع و المؤانسة ، ص2

2: : الشمنتري الأعلم : النكت في تفسير كتاب سيبويه، ت رشيد بلحبيب، المغرب، ص60

3: جمال الدين أبو الحسن القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم،عالم الكتب : المصرية،القاهرة،1973،ص2

الشفق بالمناقشات والجدل والإغراق في تتبع العلل والإكثار من التقسيمات والتفريعات[1] وهناك أيضا التعمق في مسائل الخلاف مثل ابن عقيل وحاشيته، أو الأشموني و حاشيته فترى العجب من أمر ذلك الخلاف بل حسبنا أن نقرأ باب الجوازم خاصة في كتاب "الهمع" حتى نفرزع و نضطرب من خلاف في كل مسألة، وهذا التفرق في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب وأكبرالعقبات في تحصيلها والوصول فيها إلى ضوابط محدودة، سليمة، يسهل استخدامها و الاستجابة بها في التفاهم الكتابي و الكلامي.

د- شرح المؤلفات النحوية: حيث أن لغة تلك المؤلفات لغة معقدة يصعب فهمها ولا يمكن فهم ما ترمي إليه بسهولة لذلك استدعت الضرورة شرح تلك المؤلفات، وكان النحويون القدامى عارفين بما تحتويه من صعوبات فقد لبو الدعوة إلى التسيير على المستويين التطبيقي والنظري على مر القرون فقد ألفوا كتبا ضخمة للمتخصصين، ويؤلفون للمبتدئين متونا ومختصرة مبسطة فقد ألف "خلق الأحمر"مقدمة في النحوقال في بدايته:"لما رأيت النحويين و أصحاب العربية قد استعلموا التطويل وأكثروا العلل وأغلقوا ما يحتاج إليه المتبلغ في النحو المختصر...أمنعت النظر في كتاب ألفه وأجمع فيه الأصول والأدوات و العوامل على أصول المبتدئين، يستغني به المبتدئ عن التطويل[2].

وهناك كتب التراجم والفهارس عناوين كثيرة تدل على أن القدماء كانوا مدركين لبعض الأسباب التي صعبت تعلم النحو[3]، وهذا يفرض تأليف كتب مختصرة للمبتدئين رغبة مؤلفيها في تسيير و إيضاح القواعد النحوية كما تتميز بطغيان الجانب التعليمي ورغم تلك الجهود الكبرى و العظيمة التي قام بها علماء النحو القدامى، لم يدركوا من هذه الصعوبات إلا القليل لقربهم من عصور السلامة و قدرتهم على تحصيل الملكة حتى تلك العيون المحدودة لم تنل منهم اهتماما كافيا،

1 : مبروك عبد الوارث:إصلاح النحو العربي : دراسة نقدية ، دار القلم ، الكويت ،ط1ن 1985، ص21

2 : : خلف الأحمر : مقدمة النحو ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، 1961، ص34

3 : حازم سليمان : تسيير النحو العربي إلى عصر بن مضاء القوطبي ، مجلة اللسان العربي ، 1996، ص55.54

فقدها لجوها فرادى، من غير أن يعرض لهم أمام بالتجميع و الحصر وحق العلاج...على كثرة الأئمة الباحثين وقيض الكتب و الرسائل التي تتصدى للنحو و قضاياه[1].

ويعد ابن مضاء من النحاة المتأخرين الذين حاولوا تيسير النحو العربي و تخليصه من بعض علله و تسهيل قواعده على الناشئة و قام بثورة و رفض النحو بعلله دعى إلى جانب مجموعة من الأندلسيين إلى إعادة تشكيل النحو من جديد دون المساس بالقواعد الجوهرية و قد ألف مجموعة من الكتب من بينها الرد على النحاة" المشرق في النحوتنزيه القرآن الكريم عما يليق بالبيان و"كان كتاب الرد على النحاة" ثورة على نحاة المشرق، وهذا ما سنذكره فيما بعد حول جهوده في تسيير النحو العربي.

ب- البصري:

كان اهتمام الأندلسيين بالنحو الكوفي أو المدرسة الكوفية أسرع من اهتمامه بالمدرسة البصرية أو النحو المصرفي، فقد كانوا يرون أن المدرسة البصرية قد وجهت اهتمامها إلى النحو العربي قبل المدرسة الكوفية بنحو مئة عام تقريبا، حين اكتملت أراء النحويين البصريين وانتشرت في بلاد المشرق، فلما أقبل الأندلسيون لدراسة النحو العربي رأوا أن النحو الكوفي ما زال في بدايته و آراء نحاته كانت بعيدة عن التعقيد، وما يناسب مستواهم في مجال النحو العربي ما جعلهم يقبلون على النحو الكوفي.

المعروف عن المدرسة الكوفية، وعن علمائها أنهم أهل الشعر و الرواية عن العرب و فصاحتها لذلك ابتعدوا إلى حد بعيد عن القوانين المنطقية، في حين أن البصرة و علمائها لم يكونوا على نفس درجة الكوفيين في الشعر و أخبارهم، لذلك عوضوا هذا النقص باختلاف العنان للعقل ليقيس

1 : حسن عباس : اللغة و النحو بين القديم و الجديث ، دار العارف ، القاهرة، 1991، ص71

و يتشدد في القياس وكان تشددهم سببا في توجه الأندلسيين المبتدئون إلى النحو الكوفي،المعتمد على السماع[1].

اعتمد الكوفيون على السماع لا القياس و كان هذا الأمر الأقرب للواقع لأنهم لم يكثر توا لا بالقلة و لا بالكثرة، ومضت السنون و النحو الكوفي يحكم الساحة الأندلسية حتى اشتدت عزائم الأندلسيين النحوية و تمكنوا من النحو البسيط الغير معقد المختصر وتوجهوا إلى النحو البصري و قياساته و أحكامه، لينظموا الأحكام الكوفية التي تعتمد على مجرد السماع بمثال واحد فقط مما أوجد فوضى و اضطراب في النحو، وقد اهتم علماء الأندلس بالبصرة و أخذوا النحو البصري الذي طبع نحوهم – فيما بعد–.

وهنا كان اهتمام العالم "محمد بن موسى" بالنحو البصري وهو من أدخل النحو العربي و لقي "أبا جغفر الدينوري" و أستنسخ منه نسخة من كتاب "سيبويه" أو الذي سمي بقرآن النحو فلما دخل إلى الأندلس وداع هيبته وانتشر صداه بين العلماء، وجه النحاة جهودهم وجل الأفكار التي كانت في مخيلتهم نحو الكتاب الوافد عليهم من المشرق و ذلك للاستدراك عليه و شرحهن ومن أجل دراسته و تدريسه، فقد بلغ الشغف بكتاب سيبويه مبلغه"حتى كان الناس يتساءلون هل يقرا كتاب سيبويه فإن قبل لا فيقولون: لا يعرف شيئا"[2].

– وساعد دخول كتاب سيبويه الأندلس والعناية التي حضي بها على الاهتمام بالنحو الكوفي وخاصة كتاب ألكسائي، الذي أنصرف عنه كثير من العلماء النحو في الأندلس ن لأنهم وجدوا ضالتهم النحوية في كتاب سيبويه،فلا عجب أن يبقى كتاب سيبويه المصدر الأول عندهم بالرغم من دخول الأندلس عدة كتب نحوية لا تقل أهمية عن كتاب سيبويه، ومن بين هذه الكتب كتاب المقتضب للمبرد، و الإيضاح لأبي علي الفارسي و الخصائص لأبي عثمان بن جني فقد حدثنا

1: الزبيدي أبوبكر : طبقات النحويين و اللغويين، ص282
2 : جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص331

السيوطي عن تلك الشهرة التي حضي بها كتاب سيبويه و الاهتمام الكبير به فقال: "إن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت708)، عندما حرج من ما لقه، وترك هناك من طلبته الأربعين يقرؤون كتاب سيبويه"[1].

– إن اهتمام الأندلسيين بكتاب سيبويه و بالنحو البصري، جعل النحو في الأندلس يطبع بطابع النحو البصري، حتى و إن كان متأخرا كما ظهر ويمكن لنا أن نستنتج ملحوظة مهمة حول أول الكتب النحوية المشرقية، دخولا للأندلس فبعض العلماء أمثال الدكتور "أمين السد" يرى أن كتاب ألكسائي كان أول الكتب وصولا للأندلس، فيقول: "سجلت كتب التراجم و الطبقات و كتب التاريخ والأدب أن كتاب ألكسائي وقد كان أسبق كتب النحو التي انتقلت إلى الأندلس، ولكنه على من سبقه لم ينل من الرعاية والاهتمام مثل ما نال كتاب سيبويه أو كتاب ليجهل للزجاجي"[2]، وهذا يذل على اهتمام النحاة بالنحو من خلال تأليف الكتب النحوية المختلفة .

ورأى فريق آخر من العلماء عكس ذلك، أن كتاب سيبويه قد سبق كتاب ألكسائي دخولا و لم يسبقه شهرة.

وعلى أيه حال فإن كان النحو الأندلسي قد بدأ كوفيا، وانتهى بصريا لشهرة كتاب ألكسائي وهذا لا خلاف فيه،وهذا لا ينقص منه أو من وجوده داخل الأندلس، حيث كان هذا العلم أنصاره و محبوه من مختلف النحويين إلى القضاة و الفقهاء.

1: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص292

2: أمين السيد : الإتجاهات النحوية في الأندلس ، كلية ، دار العلوم ، القاهرة ، مصر ، 1964، ص 112

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

تمهيد.

1- مقدمة عن حياة ابن مضاء القرطبي.

2- جهود ابن مضاء في تسيير النحو.

أ- جهود نحاة الأندلس في تسيير النحو.

ب- جهود ابن مضاء في تسيير النحو.

3- أسس ثورة ابن مضاء.

4- آراء النحويين حول جهود ابن مضاء في تسيير النحو.

تمهيد:

إن النحو العربي هوعلم له أصوله وقواعده التي أهتم وأجتهد في استنباطها النحاة القدماء وحرصوا على تطويرها للحفاظ على القرآن الكريم و على اللغة العربية من التحريف و اللحن فكثرت المؤلفات و تطور هذا العلم ووصل إلى مرحلة التعقيد و الصعوبة بالنسبة للمتعلمين فقد كانت الأفكار التي تسربت إليه وكذلك المحاكاة لبعد النحو عن إفادة اللغة لذلك سعى مجموعة من النحاة المتأخرين إلى العودة لتسيير النحو العربي و تخليصه مما يعيقه ويثقله و تسهيل قواعده على المتعلمين حتى لا ينصرفوا عنه ويعد ابن مضاء الأندلسي من أشهر النحاة الذين قاموا بدعوة إلى التسيير وقام بالتنظير و التطبيق لهذه الدعوة من خلال مؤلفاته الثمينة و هذا ما سنذكره فيما بعد.

1/ مقدمة عن حياة ابن مضاء.

- تعريف ابن مضاء:

هو احمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سعد بن حريث بن عاصم ابن مضاء اللخمي قاضي الجماعة أبو العياس و أبو جغفر الجياني القرطبي، وزاد ابن فرحون في "الديباج المذهب" (أبوجعفر أبو العباس وأبو القاسم و الاخيرة قليلة) و أشهر كنية له "ابن مضاء" ولد بقرطبة سنة 512هـ ووفاته بإشبيلية سنة 592، وبين ميلاده ووفاته ما يقارب ثمانين سنة[1].

عرف ابن مضاء بالإستقامة وحسن الخلق والإيمان بالله كان عفيفا شريفا يخشى الله ولا يخاف في لومه لائم يقول المراكشي صاحب الذيل والتكملة: "كان طيبة النفس، كريم الاخلاق حسن اللقاء، جميل العشرة لم ينطوي قط على أخيه المسلم، عفيف اللسان، صادق اللهجة، نزيه الهمة كامل المروءة"[2]، وتكمن أهميته وشهرته كونه يدرس كظاهرة علمية ناقش أصول النحو و كانت له آراء جديدة التي ستعرض في ضوء دراسات لغوية حديثة فالهدف هو آراءه[3].

تتلمذ ودرس على يد مجموعة من العلماء فمن بين أساتذته في الفقه "ابن العربي" و"البطروجي" و"الرشاطي" و"أبو محمد بن المناصق" ولقي بسبته القاضي "عياضا" ذو الاصل المغربي كان فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام الحرب وأخذ منه ابن مضاء وأرسى قواعد علمه اللغوي و

1: محمد عيد: أصول النحو العربي، ص37-38

2: علي عبد الكريم : ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ص13

3: محمد عيد: أصول النحو العربي، ص38

الفقهي وزاد من علمه علماء العربية، "أبوبكر بن سليمان بن سحنون" وابن الرماك" الذي يعد من أكبر الأساتذة تأثيرا على "ابن مضاء" في المجال اللغوي إذ يبدو أنه اطل ملازمته ودرس عليه كتاب سيبويه، وأيضا درس على يد"ابن بشكوال".

أما بالنسبة للقضاء فقد زاده شيخه القاضي " أبوبكر القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المغافري" و المعروف بابن العربي الذي كان واسع العلم كثير الترحال[1].

كانت نشأة ابن مضاء في طلب العلم دون غيره حيث كان شففه وهمه الدائم فقد قضى ثمانين سنة تقريبا في حلقات الدروس متعلما وعالما وفي مجالس القضاء للحكم بين الناس، وفي مجال البحث مؤلفا و مبتكرا[2]، فقد تتلمد على يد أئمة النحو واللغة وكان واسع الإطلاع على الفقه بسبب رحلاته العلمية والتعليمية حيث قام بالتدريسفي عدة اماكن منها"مراكش" ثم قام بتدريس أبناء الخليفة عبد المؤمن، ثم توجه إلى قرطبة بلد العلم والعلماء بجانب أبي "إسحاق الحضرمي" ومدن اخرى كان مطلعا على مجموعة من العلوم من بينها الطب والفلسفة والهندسة إلى جانب العلوم الدينية واللغوية[3]، ماجعله يحصل على تقدير و إكبار معاصريه شغل منصب قاضي الجماعة في الدولة الموحدية ومن أشهر مؤلفاته النحوية ثلاثة كتب هي "الرد على النحاة" الذي هو من أشهر كتبه كونه ثورة على النحو المشرقي حيث أتى برأي جديد و نظرية جديدة للنحو العربي الذي آثارها كبيرا بين اللغويين فهناك من أخطأ في فهم مقاصده، حيث ألقه في عهد الدولة الموحدية وتأثر

1: محمد عيد: أصول النحو العربي، ص38
2: المرجع نفسه،ص38
3: علي عبد الكريم: ابن مضاء وموقفه من النحو العربي، ص9-10

بثورة الموحديين على المرابطيين وبخاصة المذهب الظاهري، حي كانت المذاهب تتباين ويسعى كل مذهب لفرض نفسه، فقد حاول الموحدون أن يخلصوا الفقه من المسالك المتشبعة حيث كان المذهب المالكي شائعا حيث ثم الإستشهاد بالحديث النبوي الشريف وعرف هذا العصر بإنتشارالمدارس المشثارة في قواعدها وكان النحو يشغل الدارسين ويستنقد كثيرا من جهدهم ووقتهم، لكن المذهب الظاهري كان تأثيره كبيرا في النحوالأندلسي فهو المذهب الظاهري[1] الذي ينادي بالأخذ بظاهر النص دون الحاجة إلى الغوص في متاهاته أو تحميله أكثر مما يطيقه هذا المذهب الذي يتبناه الإمام "ابن جزم" واجتهد في رأيه في مجال النحو الذي كان له مكانة مميزة عنده ويرى انه لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن وفهم الحديث ولو سقط لسقط الإسلام، ويعد ابن حزم تعلم النحو واجبا على كل من يريد أن يجلس ويفي الناس[2]، حيث رفض القياس و الاجتهاد و الجدل و العلة التي يعتبرها فاسدة في النحو لا يرجى شيء إلى الحقيقة وهذا ما يتناسب مع مذهبه الظاهري ومستمده منه حيث فند كل ما يعرف بالقياس والتعليل والتأويل الفقهي ودعي إلى الأخذ بظهر النص وإلى جانب مذهبه الفقهي فقد كان مراده تخليص النحو من التقيد و تدريسه بأبسط الطرق و أسيرها[3].

1: علي عبد الكريم: ابن مضاء وموقفه من النحو العربي، ص18

2: فادي صقرأحمد عصيدة: جهود نحاة الاندلس في تسير النحو العربي ص17

3: المرجع نفسه ص18

وكل هذه الأسباب أثرت في العالم الكبير" ابن مضاء القرطبي"، فقد كانت هذه الأفكار الفقهية محط اهتمامه حيث جاء بحوالي قرن ونصف بعد "ابن حزم" فناقشها و دافع عنها واتفق معه في بطلان العلل النحوية[1].

من خلال كتابه السالف ذكره " الرد على النحاة" الذي هو عبارة عن تجسيد لفكره الجديد الذي أستمده من هذا المذهب و يعود الفضل نشأته إلى داوود بن خلف البغدادي مقاما لأصفهاني نسبا ويظهر لنا تأثير هذا المذهب على ابن مضاء من خلال دعوته في كتابه إلى تصنيف النحو تصنيفا جديدا وطلب بإلغاء نظرية العامل والأقيسة والتعليلات التي تفسد لنحو وتعقده[2]، وما نستنتجه أن للجانب الثقافي من حيث الجانب الديني والفلسفي و الفقهي و اطلاعهواتساع أفقه الكبير في ثورته ومحاولته تجديد النحو وهذا ما يظهر جليا في كتابه للرد على النحاة الذي هو عبارة عن محاولة تخليص النحو العربي من الأثقال و العقبات التي تعيق تطوره.

وكذلك كتابيه "المشرق في النحو" كان بمثابة رد على النحو المشرقي وكتابه الثالث حول القرآن "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان"، وهذان الكتابان لم يصلا إلى النحاة.

1: فادي صقرأحمد عصيدة: جهود نحاة الاندلس في تسير النحو العربي ص17

2: ابن مضاء : الرد على النحاة، ت ح شوقي ضيف ص76

2/ جهود ابن مضاء في تسيير النحو:

أ/ جهود نحاة الأندلس في تسيير النحو العربي:

لقد أدرك النحويون القدماء صعوبة النحو على المتعلمين، فألفوا المختصرات والمنظومات والشروح، محاولة منهم في تسيير النحو لطالبه، ولكنها لم تخرج عن نطاق الشروح

و الاختصار والتقريب واجتناب كثير من المسائل الخلافية،وهكذا حلت معظم مؤلفاتهم من الإسراف في التفصيل والتفسير والولوع بالاستشهاد والاحتجاج، والتعليل ذلك أن همهم الوحيد هو تقريبا لنحو للمتعلمين، ومن أمثلة ذلك:كتاب"الجمل" "للزجاجي" و"الواضح في العربية" "للزبيري" وكتاب "التوطئة" "للشلوبيني"، وكتاب "التسهيل(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)"لأبن مالك الحياني" كما أرتبط تسيير النحو وتجديده بإعادة تنسيق أبواب النحو، ووضع الضوابط و التعريفات الدقيقة، إضافة أبواب جديدة، الانصراف عن نظرية العامل، فضلا عن حذف زوائد كثيرة في النحو العربي و كذلك الإيجاز.

فبعض العلماء فكروا في البحث عن أسلوب تيسر النحو ، وطنوا تأليف المختصرات التي اختصرت بعض أبواب النحو، وحذفت بعض أبوابه هو أسلوب التسيير و لكنهم اجتهدوا فأخطئوا فالتسيير ليس اختصارا ولا حذفا للشروح و التعليقات و لكنه عرض جديد للموضوعات النحوية

يمكن الناشئة من استعاب النحو مع إصلاح شامل لمنهج الدرس النحوي وتخليصه مما علق به من شوائب فلسفية و منطقية ولو سلكوا الطريق الصحيح لأوصلهم للتسيير فعلا[1].

إضافة إلى أننا يمكن توضيح جهود نحاة الاندلس و سعيهم لتسيير النحو العربي من خلال عرض موجز لبعض مظاهر التسيير في بعض مؤلفاتهم من كتب نحوية كمايلي:

1/مظاهر تسيير النحو في كتاب "التسهيل" لإبن مالك الحياني:

كانت السمة الغالبة على ابن مالك و مؤلفاته و بخاصة "التسهيل" هي توخي السهولة و التسيير في كل ما يتعلق بعلم النحو العربي، ولعل أبرز مظاهر التسهيل و التسيير في كتابه "التسهيل"

أ- اسم الكتاب: اختار ابن مالك لكتابه اسم "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" ويتضح لنا من خلال التسمية أن الكتاب جاء لتسهيل موضوعه في أسلوب الطرح و كيفية معالجة للقضايا النحوية و تقديمها للقارئ بحيث يبتعد عن التعقيد.

ب- لغة الكتاب: حيث امتازت لغة الكتاب بالإيجاز مع السهولة فهو يتناول الموضوع بأسلوب سهل ميسر دون مقدمات، حيث يقول في باب نعم و بئس:"وليسا باسمين فيليا عوامل الأسماء خلافا للفراء، بل هما فعلان لا يتصرفان للزومهما انشاء المنح والذم على سبيل المبالغة و أصلهما فعل، وقد يردان هكذا او بسكون العين وفتح الفاء أو كسرها أو بكسرهما"[2].

1: خليل عبد المنعم،عبد السلام: التجديد النحوي عند الدكتور شوقي ضيف، ص10

2: ابن مالك الجباني: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات،دار الكتب العربية،1967،ص44

ج- الإيجاز و الابتعاد عن الحشو: سلك ابن مالك في كتابه طريقا ابتعد فيه عن الحشو الممل فهو يبتعد عن الإسهاب في مسائل الخلاف و تدوينها وحشو كتابه بماله فائدة و ما ليس له فائدة فهو لا يحصي مجلدات بقدر ما يقدم مادته في صورة مباشرة بعيدة عن الإطناب و دون حشو مثل قوله في باب الأفعال المقاربة:" منها للشروع في الفعل= طفق، جعل، وأخذ، علق، أنشئو وهي وقام ولمقاربته= هلهل، وكاد وكرب و أوشك وألم وأولى و لرجائه= عسى، وحرى واخل ولق..."[1] وهذا الإيجاز و الابتعاد عن الحشو و الإطناب جعل من كتابه موجزا صغيرا في حجمه عظيما في فائدته و أسلوبه.

د- الابتعاد عن مسائل الخلاف والآراء الشاذة: كان منهجه خاص يذرك في مسائل الخلاف أحيانا ليدلي بدلوه، ويشارك فيها برأيه فيجتهد أيؤيد أو يخالف و أحيانا يقف موقف الحياد كما كان لا يناقش آراء المخالفين له أو المؤيدين بل يكتفي بذكر أسمائهم فقط.

2/ مظاهر تسيير النحو في كتاب "التوطئة" للشلوبيني:

أ- اسم الكتاب: اختار صاحب الكتاب لمصنفه هذا اسما يعطي القارئ و المطلع عليه، أن هذا الكتاب ما هو إلا مقدمة أو مدخل للذي يريد دراسة علم النحو بالتفصيل.

1: ابن مالك الجباني: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص59

ب- عدم شرح الآيات القرآنية و التعليق عليها: أسلوب واضح من أساليبه، فهو ما كان يشرح الآيات إطلاقا بل يكتفي بذكر الآية موطن الشاهد، ويبدي رأي حولها سواء كان لعلماء مؤيدين أو مخالفين له، وذلك خوفا من حشو كتابه رآ ليس لها فائدة.

ج- البعد عن التعليل و التقدير في الآيات القرآنية.

د- حذف غير ضروري: وضع في كتابه ما هو ضروري و حذف ما يستغني النحو عنه.

هـ- الإكثار من الأمثلة التركيبية السهلة و الواضحة:

ما أن يبدأ الدارس بقراءة الباب الأول من كتابه التوطئة حتى يلفت انتباهه كثرة الأمثلة التركيبية البسيطة، فزيد و عمرو حاضران بكل قوة في أمثلته، وقد جاءت هذه الأمثلة عادة قبل الاستشهاد بالآيات القرآنية أو الشعر العربي.

جهود ابن مضاء في تسيير النحو العربي:

يعد ابن مضاء من بين النحويين الأندلسيين الذين سعوا إلى تسيير النحو العربي و تبسيطه

و تدليل قواعد للمريدين، ويتضح هذا من خلال الجهود التي قام بها، كثورة العنيفة على النحو و النحاة، حيث ألف كتبا مطولة زاخرة بالعامل و المعمول وما ينطوي فيها من كثرة التعذرات و التأويلات و التعليلات و الأنيسة، ويرفض بقية المذاهب الأخرى و كان تأثير الفقه الظاهري واضحا على ابن مضاء، حيث ثار على النحاة في فقههم ونحوهم و دعاهم لمنهج جديد في النحو، وكانت تورثه واضحة، فقد اشتهر ابن مضاء بتأليفه لكتاب"الرد على النحاة" فحدد عرضه

من كتابه فيقول:" قصدي في هذا الكتاب أن أحد من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه"[1].

فمن خلال كتابه هاجم بقوة نظرية العامل و المعمول في النحو و دعي في غير الحاجة إليها بل أيضا لأنها مبنية على تصور خاطئ فيقول: "فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب و الخفض و الجزم لا يكون إلا لعامل لفضي، وان الرفع منه ما يكون بعامل لفضي وبعامل معنوي...."[2].

فأستمر في إنكاره نظرية العامل، فاعترض على تقدير العوامل المحذوفة، و على تقدير المتعلقات و المجرورات و الضمائر المسطرة و الأفعال....الخ، فالإضافة إلى إنكاره القياس و دعوته إلى إلغائه فقد كانت هذه الدعوة من الركائز الأساسية من أجل تسهيل النحو و الخروج به من بعض تعقيداته، فتقوم هذه الدعوة على رفض قياس عامل آخر في العمل" فالشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولا و الشيء المقيس عليه معلوم الحكم و كانت العلة موجبة للحكم فب الأصل و موجودة في الفرع" وعلى هذا الأساس أنكر ابن مضاء فكرة وجود القياس كما رأى أن النزاع و الاضطراب في القياس لا جدوى منه "وأساس عدم الجدوى لديه يرتبط باحترامه لنصوص اللغة وقد وضح ذلك في أمرين: الأول: ليس هذا من اللغة الفصيحة التي يحتاجها الناس، فحاجة الناس إلى معرفة اللغة لا تفتقر لهذا الاضطراب و النزاع، أما الثاني: أنه مضنون مستغنى عنه و

1: ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، ص 76-77

2: المرجع نفسه، ص77

الظن ليس نصا من نصوص اللغة، ومن أهم ما يترتب عليه اضطراب الأنيسة"[1] كما أن دعوة ابن مضاء لإنكار القياس في حد ذاتها دعوة مبطنة لإلغاء العلل وهذه الدعوة من شأنها الإسهام في تسيير النحو.

وألغى التمارين غير العملية بذكره حجج النحويين في هذه القضية وأوضح فسادها و من الأمثلة التي ضرب لها مثلا من قول النحاة: " من البيع على مثال فعل فيقول قائل(بوع) أصله بيع فيبدل من الياء واولانضمام ما قبلها لأن النطق بها ثقيل"[2]، وأنها لا حاجة لنا بها سوى التمرين فيها لا فائدة فيه، فأي فائدة نفيدها من صيغة (بوع أو بيع) التي لم تأت عن العرب، و التي لسنا في حاجة إلى استعمالها؟ وابن مضاء ليقول: "أن الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة، فكيف بهذا المضنون المستغنى عنه"[3]، ومن هذا المنطق دعا ابن مضاء إلى إلغاء التنازع و الاشتغال و تخليص النحو منهما، فقول النحاة:(أعلمت و أعلمني وأعلمنه إياه زيدا عمرا منطقا) على التعليق بالثاني و على التعليق بالأول وأعلمت و أعلماني إياه زيدا عمرا منطقا[4] وما إلى ذلك من الأمثلة التي وردت في كتابه الرد على النحاة.

ومن هنا نرى أن جهد ابن مضاء من تخليص النحو من التمارين غير العملية تعد هي أيضا ركيزة مهمة ركائز نظريته الداعية إلى تخفيف النحو و تسهيله على الناس، حتى يستطيعوا حفظه وحفظ

1: محمدعيد: أصول النحو العربي في نظرة النحاة وراي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث،عالم الكتب، القاهرة، ط4،1989 ،ص101

2: ابن مضاء القرطبي : الرد على نحاة، ص138

3: مرجع نفسه ، ص44

4: م ن، ص 98

اللغة العربية الفصيحة، وهذه الدعوة تسهم في هذا التسهيل المنشود الذي طالب به ابن مضاء وسخر كل مجهوداته من أجله ومن أجل تحقيقه في ميدان النحو كما هو في ميدان الفقه الإسلامي.

وختم ابن مضاء نظريته بدعوة عامة جلبة تمثلت في وجوب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كاختلافهم في علة رفع الفاعل، ونصب المفعول، وأنكر ما اختلفوا فيه مما لا يفيد نطقا، فدعا فيها إلى حذف كل زاد و الإبقاء على المفيد المحقق للغرض المرجو، وهو تعلم النحو و تطبيقه.

كانت تلك الحملة حافزا لعدد لبس بالقليل من علماء اللغة الذين ساروا على الطريق ذاتها ودعوا إلى تخليص النحو مما لا يفيد، ومن أشهرهم: الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابه" إحياء النحو" وشوقي ضيف، محقق كتاب الرد على النحاة الذي دعا إلى تصنيف جديد للنحو العربي وهدي المخزومي الذي رفض العلل و العمل بها وغيرهم الكثير الذين شاركوا ابن مضاء من أجل التخلص من كل ما لا يفيد نطقا[1]، فهو يرى أن ما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا فمثلا اختلافهم في علة رفع الفاعل و نصب المفعول و غيرها من الأمور التي اختلفوا فيها.

1: معاذ السرطاوي: ابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية، ص139

أسس ثورة ابن مضاء:

تمكن الأسس التي قامت عليها ثورة ابن مضاء القرطبي من أجل تسهيل و تسيير النحو العربي في:

1/ إنكار نظرية العامل:

العامل النحوي أحد أهم الأصول التي بني علها النحاة القدماء نحوهم، ويعود الفضل في تثبيت نظرية العامل ومد فروعها أو إرساء قواعدها، الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ثبت صورتها على مر العصور فهو يرى "أنه لا بد من كل رفع لكلمة أو نصب أو خفض أو حزم عامل يعمل في الأسماء و الأفعال المعربة و مثلها الأسماء المبنية"[1].

يرى جمهور العرب إن العامل له دور هام في ضبط الكلمات وفق ما يحس ويدرك من معاني الكلام، مما يساعد المتكلم على التعرف على الحركة الإعرابية المناسبة و يساعد على القراءة الصحيحة، وحفظ النحو من الزلل، وبهذا ظل العامل المحور الرئيسي الذي تدور حوله أهم قضايا النحو.

1: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص38

القدماء وظلت نظرية العامل الذي أرسى النحويون القدماء قواعدها قائمة بمثابة دستور للنحاة قدماء كانوا أم محدثين، رغم ظهور فئة رافضة وداعية إلى إلغاء هذه النظرية[2] ومنهم من نادي بإلغاء العامل وهو ابن مضاء القرطبي حيث يرى أن النحاة القدامى حملوا النحو العربي أشياء هم في غنى عنها و ألزموه م لا حاجة له، وقد سدد ابن مضاء سهام دعوته إلى نظرية العامل التي أحالت كثيرا من جوانب النحو العربي إلى عدة صعبة الحل و عسيرة الفهم فيقول:" قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه "[1].

ومن ذلك: ادعائهم أن النصب و الخفض و الجزم لا يكون إلا بعامل لفظي أو معنوي، وأن الرفع منها ما يكون بعامل لفظي و بعامل معنوي وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا" ضرب زيد عمر" أن الرفع في " زيد" والنصب الذي في عمر إنما أحدثه "ضرب".

ألا ترى أن سيبويه – رحمه الله– قال في صدور كتابه:" إنما ذكرت ثمانية مجار لا أفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل و ليس لشيء منها إلا وهو يزول عنها ويبين ما نبي عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه"[2].

أشار ابن مضاء في كتابه –الرد على النحاة– إلى أن هناك من سبقه في فكرة العامل منهم ابن جني الذي أرجع العمل في النصب و الرفع و الخفض إلى المتكلم، إلا أن ابن مضاء على العكس

2: ابن مضاء القرطبي :الرد على النحاة، ص76

1: ابن مضاءالقرطبي: الرد على النحاة، ص76

2: المرجع نفسه : ص77–78

من ذلك فهو يلغي و يصر على إنكاره للعامل، ويبين من خلال ذلك فساد رأي النحاة في العامل فيقول:" أما القول بالألفاظ فيحدث بعضها بعضا فيصلا عقلا و شرعا ولا يقول به احد من العقلاء بمعان يطول ذكرها فيما المقصد إيجازه: منها أن شرط الفاعل أن يكون موجودا حينما يفعل فعله، ولا يحث الإعراب فيما يحدث بعد عدم العامل فلا ينصب"زيد" بعد "إن" في قولنا "إن زيدا" إلا بعدم إن"[1]

يزعم ابن مضاء أن العامل لا يفعل شيئا لان ذلك باطل و كل من يتصور ذلك فهو واهم و الأوهام و الأفعال كلها من وضع الله و لا يتمكن رد الرفع أو النصب او الخفض إلى العامل كما زعم النحاة القدماء.

2/ الاعتراض على تقدير العوامل المحذوفة:

أعترض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة إلى ثلاثة أقسام:" محذوف لايتم الكلام إلا به حذف لعلم المخاطب كقولك لمن رأيته يعطي الناس: زيدا أي أعط زيدا فتحذفه وهو مراد وإن أظهرتم الكلام...و الثاني محذوف ولا حاجة بالقول به بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عيبا كقولك" أزيد ضربته" قالوا إنه مفعول بفعل مضمر تقديره " أضربت زيدا"...وأما القسم الثالث فهو مضمر، وإذا أظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل لإظهاره لقولنا" يا عبد الله" وحكم سائر المناديات المضافة و الذكرات حكم" عبد الله" وعبد الله عندهم منصوب لفعل مضمر تقديره

1: : ابن مضاءالقرطبي: الرد على النحاة ، ص24

أدعوا[1]، إذ برهن على فسادها الذي تمثل في تعقيد النحو و جعله صعبا على الطالب و الباحث في النحو العربي.

إن تصنيف النحاة الضمائر إلى مقدرة ومستترة أمر اعتبره ابن مضاء غير جائز واتهم النحاة بالتزيد في القرآن الكريم من غير حجة و لا دليل حيث قال :"ومن بنى زيادة في القرآن بغير علم توجه الوعيد به، ومما يدل على أنه حرام، الإجماع على انه لا يزاد في القرين لفظ غير المجمع على إثباته، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هي أخرى لان المعاني هي المقصودة و الألفاظ دلالات عليها و من اجلها[2] .

3/ إنكاره القياس:

اعتمد النحاة القدماء القياس منذ القديم في اللغة العربية، إلا أننا نجد ابن مضاء في كتابه" الرد على النحاة"، يرفضه ويبن مدى فساد، فالمدارس النحوية القديمة اختلفت في أقيستها بسبب اختلاف المناهج التي تتبعها كل مدرسة، أما ابن مضاء فيرفضه و ينكره لأنه لا توجد نصوص تدعمه" العرب أمه حكيمة فكيف تشبه شيئا بشيء وتحكم عليه بحكمه وعلة حكم الأصل غير موجودة في الفرع"[3]، وإذا فعل ذلك واحد من النحويين ذلك جهل، زلم يقبل قوله، فلم ينسبوا إلى العرب ما يجهل به بعضهم بعضا وذلك انهم لا يقيسون الشيء على الشيء ويحكمون عليه بحكمه إلا إذا كانت علة حكم مجودة في الفرع "، لم يتوع ابن مضاء كثيرا في القياس ويرفضونه

1: ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، ص77-78
2: مرجع نفسه، ص24
3: م ن،ص24

إلا ابن مضاء ورغم انتماءه إلى المذهب الظاهري فهو لم يرفض القياس رفضا قاطعا لكنه وضع له شروط، فهو يشترط ألا يقيسوا الشيء و يحكموا عليه بحكمه إلا إذا كان حكم الأصل موجودا في الفرع.

4/ إلغاء العلل النحوية:

ومن بين العلل التي دعا إلى إلغائها: إلغاء العلل الثواني و الثوالث وهي دعوة أخرى من أجل تخليص النحو العربي من الشوائب التي علقت به وعقدته وجعلته عسيرا انهم يدعوا ابن مضاء في هذا المقام إلى العلة الأولى فقط أما غيرها العلل الثواني و الثوالث فالأخذ بها باطل لا يفيدنا في شيء، لايفيد معرفته و لا يضر جهله ولدلك نادى بإسقاط العلل الثواني و الثوالث" وذلك مثل سؤال السائلعن" زيد " من قولنا" قام زيد" لم يرفع ؟

فيقال إنه فاعل و كل فاعل مرفوع، ولم رفع الفاعل؟

فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب"[1].

يقر بالعلة الأولى لرفع الفاعل ويروض تعليل الفاعل ويحيل هذا الرفع إلى كلام العرب و لأنه لا يرى أي داع إلى معرفة تلك الدواعي أو تلك العلة، خلف رفع الفاعل أو نصب المفعول وهنا نلاحظ ان ابن مضاء قد خالف الظاهرين في نظريتهم إلى العلة فهم يرفضون العلة رفضا باتا، في حين أكتفى ابن مضاء في رفع الثواني و الثوالث.

1: ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة، ص 103 .

5/ الدعوة إلى إلغاء ما لا يفيد نطقا:

فهو يرى أن ما يجب ان يسقط من النحو الإختلاف فيما لا يفيد نطقا كإختلافهم في علة رفع الفاعل، ونصب المفعول وسائرها اختلفوا فيه.

4- آراء النحويين حول جهود ابن مضاء في تسيير النحو:

اختلفت آراء النحويين فهناك من عارض ابن مضاء وهناك من تقبل فكره الجديد، حيث يقول:"بن فرحون" في الحديث عن كتبه ويرجع أنه كتاب في العربيةأيضا يقول: " فكان أحد من ختمت بهم المائة الثامنة من أفذاذ العلماء و اكابرهم....بصيرا بالنحو مختارا فيه مجتهدا في احكام العربية منفردا فيها بآراء شد فيها عن مؤلون اهلها، وقد صنف فيما يعتقد فيما كان يعتقده منها كتابه المشرق المذكور، وحنزيه القربن عما لا يليق بالبيان[1]، وقد ناقضه في هذا التأليف" أبو الحسن محمد بن خروف" ورد عليه كتاب سماه"تنزيه" أئمة النحو لا يليق بهم من الخطأ و السهو وذكر انه لما بلغه مناقضة ابن خروف له قال:" نحن لا نبالي بالكباش النطحة و تعارضنا أنباء الخرفان"[2].

ويقول أحدم أمين:" إن هؤلاء النحويين جميعهم كانوا يدورون في فلك سبويه فإن اجتهد أحد كابن مالك وأبي حيان فكا الذي نسميه، اجتهاد مذهب لا اجتهاد مطلقا، فقد وضع الخليل وتلميذه سيبويه بناء في النحو قوي الدعائم لم يسهل هزه ولا نقضه إنما الذي خرج و اجتهد اجتهادا مطلقا

1: محمد عيد: أصول النحو العربي ، ص42
2: المرجع نفسه ، ص42

هو ابن مضاء الأندلسي القرطبي[1]، ما يعني أن فكر ابن مضاء ظاهرة فده ليس لها مثيل وهنا يبدوا لنا أنه عالم بالفقه و اللغة و هي صورة تفاعلت سماتها في اجتهاذه النحوي، فقد تأثر هذا الإجتهاد بمذهبه الفقهي ايما تأثر، فابن مضاء ظاهرة كالمذهب، وللظاهرية مواقف خاصة من المذاهب الأخرى من ناحية، وطريقة خاصة في تناول نصوص القرآن و الحديث من ناحية أخرى وقد تأثر في ابن مضاء بدفعه إلى الإجتهاد و في روح هذا الإجتهاد نفسه كذلك[2].

ورغم ما قدمه ابن مضاء من اجتهاد و ابتعاده عن التبعية المطلقة إلا أنه لم يحضى بالتقدير و الإهتمام و الدراسة التي استحقها رغم أن المجهول من كتبه أكثر مما هو معلوم فإن هناك حقيقة لا تحتمل الجهل و لا الخلاف هي أن "ابن مضاء" مجتهد في النحو متفرد فيه بآراء جديدة وهي حقيقة يؤديها كتابه الوحيد الباقي"الرد على النحاة"، كما يتفق عليها المحدثون و القدامى فهو لم يثر على الأصول النحوية في حد ذاتها بل ثار على ما يثقل النحو ويجعله صعبا و معقدا مثقلا بالتعليل والعوامل والقياس[3]، فهو أراد تسهيل النحو على المتعلمين حتى لا تتملكهم الحيرة في فهم القواعد حيث انه أختار طريق شاقا كان مقتنعا به إنه جديد خير من التقليدي المطروق المجهد، وهو فيه متفرد لكنه لم يفقده حرية تفكيره وقد أبرز ما يدل على حرية عقله ورغبته الفائقة في الفهم و الإقتناع و الإقناع طريقته في مناقشة ما ناقش من أصول النحو و مسائل

[1]: محمد عيد: أصول النحو العربي ، ص43
[2]: المرجع نفسه، ص43
[3]: م ن ، ص43

تطبيق تلك الأصول مما يصح أن يطلق عليها(الحس العلمي)[1].

و القصود بالحس العلمي الإتجاه إلى الحقيقة عامة، وفي النحو خاصة ثم كيفية عرضها و أخيرا الموقف من رأى الغير فيها بعد ان خرجت إلى الوجود كائنا سويا[2]، ولعل عدم إعطاء مؤلفات ابن مضاء حقها من الإهتمام و التأليف النحوي هو ضياع كتبه في نكبات" المرية" باعداد الفكر العربي حيث كان الروم يدمرون المخطوطات العربية التي يجدونها فيما كانو يتسولون عليه من مدن الاندلس، فذهبت شهرته[3] حتى جاء المحثون الذين أعادوا لها شهرته وبريقه و أظهروا أهمية النظريات التي أتى بها وقيمتها و اثرها في التسييرالنحوي ومن بينهم" شوقي ضيف الذي اكتشف كتاب" الرد على النحاة" ونشره مع مدخل حول ما سماه " وردة ابن مضاء" حيث قال عنه:" اننا حين نطبق على أبواب النحو ما دعى إليه ابن مضاء من منع التأويل و التقدير في الصيغ و العبارات كما تطبق على هذه الأبواب ما دعا إليه من إلغاء نظرية العامل نستطيع أن نصنف النحو تصنيفا جديدا يحقق ما نبتغيه من تسيير قواعده تسييرا محققا[4].

وصرح" شوقي ضيف" سنة 1982 أنه قد من الله عليه بتأليف كتاب يعرض فيه النحو عرضا حديثا ينسق ابوابه، ويذلل صعابه وييسر قواعده، وأنه الثمرة النهائية لمباحثه المتصلة بتحقيق كتاب لبن مضاء[5].

1: محمد عيد، أصول النحو العربي ، ص43
2: مرجع نفسه ، ص48
3: م ن ،ص45
4 : محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب، ص275-258
5 : المرجع نفسه ، ص 258

وفي كتاب أصول النحو العربي"لمحمد العيد" حيث يبدي إعجابا فائقا وتحمسا كبير الآراء ابن مضاء الذي قال عنه لم ينل من التقدير ما يستحقه مجتهد مثله، هذا مع أن تلك الكتب قد خصصت كثيرا من الصحائف لنحاة لا يرقى بأي حال محصولهم الإبتكاري إلى مرتبته، وربما كانت الفكرة القائلة أن الناس أصدقاء المألوف و أعداء الجديد صادقة في هذا المقام[1].

وقد تناول"محمد حسن عواد" في مقدمته لكتاب" الكوكب الدري" لجمال الدين الأستوري آراء"محمد عيد" فقال:" إنها مدعاة للحيرة لما تصننت من مبالغات لا مبرر لها ثم أوضع ما فيها من مغالاة في تقديم "ابن مضاء" وكأنه الفكر العظيم و المضلوم"[2]، رغم تعارض الآراء و إختلافها إلا أن الحقيقة التي نتفق عليها هي أنه قام بتجديد النحو وقام بجهود فريدة من نوعها لم يسبقه إليها أحد وإن اختلف طريقه لكن هدفه هو تسيير النحو و تخليصه من الأخطاء التي أثقلته.

1 : محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب
2 : مرجع نفسه

الفصل الثالث

الفصل الثالث:

1- إنكاره نظرية العامل.

2- إنكاره القياس.

3- التعليل.

4- التأويل.

إنكار نظرية العامل:

1- نشأة نظرية العامل في النحو:

شاعت نظرية العامل في النحو العربي فكانت من أهم أصول النحو التي بني عليها النحاة قواعدهم، فكل عامل في نظرهم طالب لغيره، وكل معمول مطلوب لغيره، وعلى هذا الأسس اخذ النحاة يفسرون العلاقات اللفظية بين خصائم التركيب(الجملة)[1]، وقد ربط هؤلاء النحاة بين العلامة العربية و الأثر المسبب لها فتارة يكون الرفع وطورا يكون النصين وثالثة يكون الجر وطلبوا لكل علامة علة، فإن لم يجدوها أولوها، إذ لابد من مؤثر ومن هنا تأسس نظرية العامل النحوي فحصرت مسائله، وضبطت أحكامه، وانطلقت النحاة من أسسها العامة، فاتفقوا في كلياتها واختلفوا في جزئياتها[2].

تعريف العالم النحوي:

عرف ابن منظور قائلا:" والعامل في العربية ما عمل عملا رفع أو نصب أو جر كالفعل و الناصب والجازم، وكالأسماء التي من شأنها أن تعمل أيضا وكأسماء الفعل، وقد عمل الشيء أحدث فيه نوعا من الإعراب"[3].

وما يبدوا أن النحاة قد استمدوا من علم التوحيد مصطلحا تهم فسموا المؤثر(عاملا) و الأثر(معمولا)، وانتهوا إلى إقرار يقضي أن حركة إعرابية من دون عامل، ولا عامل من دون معمول له[4].

1: محمد خيضر: أصول النحو العربي، ص123

2: المرجع نفسهص123

3: ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة(دط)

4: محمد خيضر: أصول النحو العربي، ص 125

ويذهب ابن جني إلى أن العمل يرجع إلى المتكلم فيقول ألأتراك إذا قلتك ضرب سعيد جغفرا فإن(ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئا وهل تحصل من قولك ضرب إلا على اللفظ يا الضاد والراء و الباء على صورة الفعل، فهذا هو الصوت و الصوت مما لا يجوز أن يكون منسوبا إليه الفعل، وإنما قال النحويون:عامل لفظي، وعامل معنوي: ليروك أن بعض العمل يأتي مسببا على ما بصحبه كما مررت بزيد، وليت عمر قائم، وبعضه يأتي عاريا من مصاحبة ما يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفوة القول فأما في الحقيقة و محصول الحديث، فالعمل من الرفع و النصب و الجر و الجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا شيء غيره، وإنما قال" لفظي ومعنوي بما ظهرت آثار اللفظ وهذا واضح[1]، وما يعنيه أن إسناد العمل إلى اللفظ هو على سبيل المجاز، فهو ظهار لكل متعلم.

وهذا ما ذهب إليه ابن مضاء القرطبي حيث انه يذهب إلى أن التغيير الإعرابي يرجع في أصله إلى وتعالى:" وإنما تنسب إلى الإنسان كما ينتسب إليه سائر أفعاله الاختيارية[2]، ويوضع عباس حسن هذا التناوب المفارق بين العامل اللفظي وبين المتكلم قائلا:" لا يعنينا من العمل أن يكون هو المتكلم أو هو المعنوي، أو هو اللفظ ظاهرا أو مقدرا أو محذوفا، فذلك أمر سطحي شكلي بحث وربما اقتضانا الإنصاف وحب التسيير أن يميل إلى جانب العامل بنوعيه: المعنوي واللفظي، والمعنوي يسهل على المستعرب ومتعلم اللغ فإن يرى الناشئ فيها العامل إن كان حسيا ويدركه إن كان معنويا في ضبط كلماته وألفاظه وفق ما يحس ويدرك في سهولة وخفة يرى الفعل أمامه فيعلم انه يتطلب فاعلا مرفوعا وقد يتطلب أكثر ويرى الأسهم بعد الفعل فيضبطه مرفوعا أو منصوبا لأنه فاعل أو مفعول....ويرى حرف الجر و المضاف فيعرف إن كان يحتاج إلى مجرور، فيجر الاسم بعدها ويرى والكاتب الاهتداء إلى الحركة المطلوبة والضبط الصحيح فيما

1 : ابن جني : خصائص: (تح) محمد علي نجار ، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، (دط)، ن ص109-110
2: أبو المضاء: الرد على النحاة، ص77

يقع بعدها وكأن العامل أمارة قاطعة على المطلوب ورائد لا يضلل، أما العامل(المتكلم) فلن يعرف ضبط أواخر الكلمات وما يتصل بها[1].

- إنكار "ابن مضاء" للعامل:

- ناقش ابن مضاء كل هذه الآراء النحوية مبينا رأيه خلال ذلك، وبذلك تتضح خطة عرض رأيه، بيان نقاشه للآراء التي رفضها وأسس هذا الرفض ثم ما قبله من هذه الآراء ومدى اتفاقه مع من وافقه في المنهج وفي التطبيق، و الاتجاه الشائع عن العامل لدى النحاة الذين أوغلوا في التطبيق، مؤداه أن العامل لفظيا أو معنويا مؤثر حقيقة وان تأثيره هو الحركات و السكنات و الحروف في أواخر الكلمات وهو مرفوض لدى ابن مضاء[2]، ولقد بني رفضه على أساس عقلي منطقي يقول:" أما القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضا فباطل عقلا وشرعا ولا يقول به أحد العقلاء لمعان أن يكون موجدا حينما يفعل فعله، ولا يحدث الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل فلا ينصب زيد بعد(إن) في قولنا(إن زيدا) إلا بعد عدم(إن) فإن قيل: بم يرد على من يعقد أن معاني هذه الألفاظ في العاملة؟ قيل الفاعل عند القائلين به إما أن يفعل بإرادة كالحيوان وإما أن يفعل بالطبع، كما تحرق النار ويبرد الماء، والفاعل إلا الله عند أهل الحق وفعل الإنسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى وكذلك الماء و النار وسائر ما يفعل، وقد تبين هذا في موضعه، أما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل لا ألفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة و لا بطبع[3].

أما الرأي الذي يراه ابن مضاء في موضوع العامل فيتفق مع أراه ابن حني في صورته، لمنه يختلف عنه في الفهم و التطبيق يقول نقلا عن ابن جني:" وأما الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل

1: عباس حسن: اللغة والنحو، دار المعارف، القاهرة، ط2
2: محمد عيد: أصول النحو العربي، ص211
3: ابن مضاء: الرد على النحاة: ص87-88

من الرفع و النصب و الجر و الجزم إنما هو المتكلم نفسه لا شيء غيره، فأخذ المتكلم بنفسه ليرفع الاحتمال، ثم زاد تأكيدا بقوله لا شيء غيره[1].

وفي حديث ابن مضاء عن العامل مثلا يقول(علقت و ليقرأ علمت، وفي "القاء" و"الواو" ونصب الفعل بعدهما(الفعل ينصب بعدهما ولا يقول نصبته، وهكذا كل ما قدمه من آراء لها صلة بالعامل و يرفضه ويرفض الإجماع عليه ويرى أن الإعراب يحدثه المتكلم وقد رفض "ابن مضاء" قوانين العامل الذهبية وما جرته على النصوص من جهد ذهني في غير طائل ومن هذه القوانين:

أ- الحذف:

صرح ابن مضاء في أكثر من موضح قوانين العامل وراء هذا النوع من التأويل ففي حذف الفعل في مثل (أزيد ضربته) قال: وهذه دعوة لا دليل عليها إلا ما زعموا من أن (ضربت) من الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد، وقد تعد إلى المضمر، ولابد (زيد) من ناصب إن لم يكن ظاهرا فمقدر ولا ظاهر فلم يبقى إلا الإضمار وهذا بناء على أن كل منصوب فلا بدله من ناصب"[2]، وابن مضاء يقف إلى جانب النص ويتمسك به كما هو دون تقدير فادحا إلى الزيادة في كلام المتكلمين من غير دليل يدل على خطأ بين لكنه لا يتعلق بذلك عقاب و أما طرد ذلك في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإذ كاد زيادة معان فيه من غير حجة و لا دليل إلا القول بأن كل منصوب إنما ينصب بناصب....فالقول بذلك حرام على ما تبين له ذلك[3]، إذ يجب التزام النص كما نطق به المتكلم، وليس من حق احد أن يزيد فيه ما لم ينطق به.

ب- التنازع:

1: المرجع نفسه، ص214

2: محمد عيد : أصول النحو العربي: ص216

3: ابن مضاء: الرد على النحاة ص92

قام على قاعد تبين من قواعد العامل، إحداهما(لا يجتمع عاملان على معمول واحد) و الأخرى(كل عامل لا بد له من معمول) ويقف هنا ابن مضاء إلى جانب النص، ويضع الباب بسهولة هكذا: الاسم الموجود يتعلق بالثاني كما قال البصريون ولا يضمر في الأول شيء الإطلاق كما قال الكسائي وقد أحتكم في رأيه هذا إلى النصوص اللغوية متنقلا في مستويين:

الأول: النصوص تؤيد انه ليس فاعل ظاهر سواء كان مضمرا أم محذوفا.

الثاني: النصوص تؤيد رأي الكسائي المتفق مع رأي ابن مضاء[1].

ج- الاشتغال:

قال ابن مضاء مشيرا إلى مقدار العناء الذي تجره الاشتغال بباب الاشتغال من الإضمار و التأويل و الخلاف ومن الأبواب التي يظن أنها موضع عامل و معمول ولا داعية لي إنكار العامل و المعمول(باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره، مثل قولنا(زيدا ضربته) ويعتبر رأي ابن مضاء في هذا الباب تطبيقا على رأيه في العامل عامة من ناحية ، كما أن هذا الرأي يستند إلى النص اللغوي من ناحية أخرى قال:"فإنما يرفعه المتكلم وينصبه أتباعه لكلام العرب وما يتبين أن النحاة قد تصوروا أجمل الاشتغال جملا ناقصة لا تتم إلا بالمقدر فهي تتكون من الملفوظ و المحذوف المقدر وتحدث ابن مضاء عن اضطراب العامل حيث قال:" ومما يجب أن يسقط من النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقا كالاختلاف في رفع المبتدأ وناصب المفعول فنصبه بعضهم بالفعل و بعضهم بالفاعل وبعضهم بالفعل و الفاعل معا.

وهذا يبدوا لنا أن ابن مضاء يرفض نظرية العامل وينكرها لأنه يرى أنها تثقل النحو وتجعله معقدا.

2/ إنكاره القياس:

1: محمد العيد: أصول النحو العربيص217،4- م ن، ص ن

يكاد يتفق النحاة على أن عبد الله بن استحقاق الحضرمي أول من اعتمد مصطلح القياس، والقياس من أكثر المصطلحات تداولا عند النحاة، فقد عرفه ابن حبني في كتابه "الخصائص" وشرح طبيعته فيقول:" ما قيس على كلام فهو من كلام العرب، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل و لا مفعول و إنما سمعت البعض فقست عليه غيره فإذا سمعت" قام زيد" أجزت ظرف بشر وكرم خالد [1]".

فهو في قوله يعرف القياس بأنه سماع بعض كلام العرب و قياس غيره عليه.

أما ابن الأنبا ري فعرف القياس بقوله:" هو حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه[2] أي إلحاق الفرع بالأصل والفرع هو المقيس أما الأصل فهو المقيس عليه.

والقياس في نظرة النحاة يقسم لثلاثة أقسام: قياس المنطق(العقلي)، قياس الفقه و القياس النحوي.

وقياس المنطق: هو إحدى الوسائل التي تنظم التفكير بطريقة صورية و طريقة أصحاب القياس المنطقي عقلية وهي الانتقال من العالم إلى ما هو أقل عموما.

أما قياس الفقه: وهو إظهار مثل حكم الأصل في الفرع لوجود علة فيه.

أما القياس النحوي: هو الأحكام النحوية التي تصدق على النصوص اللغوية الواردة بطريقة واحدة أخدت منها القاعدة، ثم تعمم تلك القاعدة على النصوص التي ترد.

لقد نظر النحاة للنصوص على أنها كلها مما يمكن القياس عليه، ففتحوا بذلك الباب على مصر

اعبه للقياس و أن القياس يكون على الكثرة و الشهرة و ما عدا ذلك يحكم عليه بالشدود[1].

1:ابن جني(أبوالفتح): الخصائص،تح : محمد النجار،دار الكتاب العربي،ط2،1952،ج1،ص357
2: السيوطي (جلال الدين): الإقتراح في علم أصول النحو، دار المعرفة،القاهرة،ط2،2001،ص203
1: محمد عيد: أصول النحو العربي، ص79

هذا باختصار كل ما رآه النحاة في القياس أما بالنسبة لرؤى ابن مضاء في ما يخلص القياس أنه لم يكن طويل النفس في رأيه عن القياس ، فليس ما يخص القياس، أنه لم يكن طويل النفس في رأيه عن القياس، فليس في رأيه عنه تقليب الفكرة و مواجهة مختلف احتمالاتها، وله في دقني كتابه" الرد على النحاة" جزيئات متناثرة أوضحت فكرة تقريبية عن رأيه في موضوع القياس و قد أشار لنوعين من القياس، قياس نحوي و آخر عقلي .

القياس النحوي: هو الأحكام النحوية التي تصدق على النصوص اللغوية الواردة بطريقة واحدة أخدت منها القاعدة، ثم تعمم تلك القاعدة على النصوص التي ترد.

والقياس العقلي: هو قياس أحكام على أحكام لنوع من المشابهة، فيقال هذا الحكم كذا لأنه مشلبهة أو قياس على كدى[1].

فالنوع الأول من القياس لم يتعرض له ابن مضاء نص بل يعرف رأيه منها ورد في جزيئات كتابه " الرد على النحاة"، ففي باب التنازع قال: " فإن قيل:النحويون لم يذكروا في هذا الباب إلا الفاعل و المفعول و المجرور، وهنا معمولات كثيرة على مذهبهم كالمصادر و الظروف و الأحوال و المفعولات معها و التيبزات، فهل تقاس هذه على المفعولات بها أو لا تقاس؟

وقد أجاب عن ذلك بعد أن تحدث عن كل المعمولات بقوله: و الأظهر ألا يقاس شيء من هذه على المسموع إلا أن يسمع في هذه كما سمع في تلك[2].

إن فكرة ابن مضاء في القياس النحوي، ترتبط ارتباطا أساسيا بفكرته عن النصوص اللغوية فهو أجازه إن ورد له من النصوص ما يصححه ورفضه إذا لم ترد له نصوص تؤديه.

أما القياس العقلي: فقد واجهه بصراحة مبنيا ان النحاة لم يلزموا الدقة في هذا النوع، لأنهم يحملون الأشياء دون أن تكون هناك صلة كاملة بين الآمرين حيث قال:" والعرب أمة حكيمة فكيف تشبه

2: محمد عبد: أصول النحو العربي،ص83

شيئا بشيء، وتحكم عليه بحكمه وعله حكم الأصل غير موجودة في الفرع وإذا فعل واحد واحد من من النحويين ذلك جهل ولم يقبل قوله، فلم ينسبون إلى العرب ما يجهل به بعضهم بعضا، وذلك أنهم لا يقسون الشيء و يحكمون عليه بحكمه إلا إذا كانت علة حكم الأصل موجودة في الفرع، وكذلك فعلوا في تشبيه الإسم بالفعل في العمل و تشبيههم (إن و أخواتها) بالأفعال المتعدية في العمل"[1].

– أذكر ابن مضاء القياس العقلي معتمدا في ذلك على أساسين:

1– أن المشابهة غير كاملة بين المقيس و المقيس عليه.

2– إنكار أن العرب أرادت ذلك أو إنكار أن هذا القياس يكون مما له صلة بنطق العرب و إستعلاماتهم.

وفي الرد على من استدل على الإضمار من المشتق بأن الضمير يظهر في بعض المواضع مثل(زيد ضارب هو وبكر عمرا) قال:" ومن أين قست حال غير العطف على العطف؟ وجعلت حل العطف مع قلتها أصلا لغيرها على كثرتها، وهل قياس هذا على هذا إلا ظنن وكيف يثبت الظن شيء مستغنى عنه، لا فائدة للسامع فيه، ولا داعي للمتكلم إلى إثباته[2].

أي أن ابن مضاء رفض قياس الضمير في غير العطف قياسا على العطف، مستندا أيضا في رفضه إلى أساس لغوي، وهو مناقشة (الظن) الذي عقد النحاة به هذا القياس، فالظن ليس نصا من النصوص بل أمر عقلي يفترض أشياء و يرتب عليه أحكاما لا داعي إليها[3].

فإن ابن مضاء يقبل بقياس النحو و يرفض القياس العقلي معتمدا في رفضه و قبوله غالبا على احترام النص اللغويين فقبل على أساسه و على الأساس نفسه رفضه.

1: ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، ص 115،119

2 : المرجع نفسه، ص101

3 : محمد عبد: أصول النحو العربي ، ص84

3/ التعليل:

1- نشاة التعليل:

لقد بدا التعليل فيما يبدوا في النحو قبل العلوم الأخرى كالفقه وعلم الكلام وقد تسرب التعليل إليه متأثرا بمنطق أرسطو، ثم بعد ذلك دخل الفقه و علم الكلام، وكان في مبدئه سهلا شأن كل شيء في بدايته وبمرور الزمن تحول التعليل صناعة فكرية رائعة؟ وسيطر على الجو العام ويمكن أن التعليل النحوي لم يسلك طريق الفقه أو علم الكلام حتى وصل إلى النحو، بل هو صدى للتعليل المنطقي من ناحية، و المجهود الفكري العام الذي فرض سلطانه على الباحثين في الذين و اللغة فيما بعد[1].

يعد عبد الله بن إسحاق الحضرمي اول من نهج العلل أي أن النحو قبل ذلك كان عاما مبهما يفتقر إلى تعليل الأحكام [2].

2/ تعريف العلة:

العلة هي السبب الذي يوجب الحكم للفظ ما، فيندرج ضمن شبيه لتحصيل القاعدة.

وقد نالت العلة حظها لدى علماء النحو، لأنها المحور الأساسي في الدرس النحوي، وقد قسمها الزجاجي إلى ثلاث علل: تعليمية وقياسية و جدلية نظرية.

فأما التعليمية: هي التي يتوصل بها إلى معرفة كلام العرب ومن هذا النوع من العلل(إن زيدا قائم) إن قيل: لم نصبتم زيدا؟ قلنا(بأن) في قولنا (إن زيدا قائم) ولم وجب أن تنصب (إن) الاسم؟ والجواب في ذلك أن يقال: لأنها و أخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول به فحملت عليه،

1: محمد عبد: أصول النحو العربي، ص118

2: جعفر نايف عبابنة: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي، دار الفكر للنشر و التوزيع، ط1 ، 1984،ص85

وأعملت إعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول به لفظا، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعول به على فاعله[1].

وأما الجدلية النظرية: فكل ما يعتل به في باب (إن) بعد ذلك، مثل أن يقال:فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية أم بالمستقبلية ام الحادثة في الحال؟ وحين شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله؟ فكل شيء اعتل به جوبا عن هذه السؤالات فهو داخل في الجدل و النظر[2].

وقسم الدينصوري العلل إلى أنواع عدة أشهرها أربعة وعشرين علة منها:

علة توكيد: مثل إدخالهم للنون الخفيفة أو الثقيلة في فعل الأمر لتأكيد إيقاعه.

علة تعويض: مثل تعويضهم الميم في (اللهم) من حرف النداء.

علة أولى: كقولهم: إن الفاعل أولى برتبة التقديم من الفعول[3].

وفيما يبدوا فقد كانت العلل التعليمية أكثر العلل استعمالا وأشدها تداولا بين النحاة من العلل القياسية و العلل الجدلية النظرية.

أما بالنسبة لرؤى ابن مضاء في التعليل، فقد ناقش موضوع العلة في النحو محدد أنواعها ومبينا ما يمكن أن يقبل منها ويرفض.

وينقسم التعليل عند ابن مضاء إلى نوعين: النوع الاول أسماه بالعلل الأول و النوع الثاني أطلق عليه العلل الثواني و الثوالث في قوله:

1: الزجاجي(أبوقاسم): الإيضاح في علل، تحقيق: مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة.

2: الزجاجي (أبوقاسم): الإيضاح في علل النحون ص64

3: السيوطي(جلال الدين): الإقتراح في علم أصول النحو، ص259– 260

فالفرق بين العلل الأول و العلل الثواني أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر، والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك [1].

فالعلل الأول هي القوانين المستنبطة من كلام العرب التي ينتظم بها الكلام ويصح نطقه.

أما العلل الثواني و الثوالث فهي علل مستغنى عنها ولا تفيذ، فالتعليل بالثواني قد يكون لبيان حكمة العرب وقد يكون لبيان التخفيف فيما يستثقله الطبع و الإحساس إلا ان ابن مضاء استغنى عن العلل الثواني و الثوالث.

ومن أمثلة العلل الثواني: (ميعاد و ميزان) وما أشبهما، يقال:

إن الأصل فيهما(موعاد وموزان)... فأبدل من الواو باء لسكونها و انكسار ما قبلها، وكل واو سكنت وانكسر ما قبلها فإنها تبدل ياء، فإن فيل لم أبدل منها باء ولم نترك على حالها؟ قيل لان ذلك أخف فهذه علة واضحة أيضا لكن يستغنى عنها[2].

ومما يمكن أن نستخلصه من رأى ابن مضاء في التعليل قد بين العلل المقبولة عنده و العلل التي رفضها، فالعلل الأول مقبولة عنده وهي التي بمعرفتها تحصل المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك بالنظر، فهي لخدمة النص اللغوي لمعرفة صحة نظمه وطريقة نطقه، فنطق العرب واستقراء كلامهم هما أساس العلل النحوية المقبولة.

أما العلل الثواني و الثوالث فقد أنكرها وقال أنها مما يجب أن يسقط من النحو العربي وهذا السببين اثنين هما:

1- أنه لا حاجة لكلام العرب إليها، فإذا قال قائل: لم يرفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له كذا أنطقت به العرب، ثبت ذلك من الاستقراء من الكلام المتواتر.

1: ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة، ص102
2: ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة ، ص104

2- هذه العلل ترد لأمور لا شأن لها باللغة، فهي إما ان تقطع تطلع السائل بعد العلة الأولى او لسد ضرورة ذهنية مقتلعة.

فأساس رأي بأن مضاء في التعليل باختصار،أن ما يفسر النطق مقبول عنده، وما لا علاقة له بالنطق مرفوض[1].

التأويل:

معنى التأويل و مسلكه إلى النحو:

التأويل في اللغة هو : التدبير و التقدير و التفسير، جاء في القاموس أول الكلام تأويلا وتأوله: دبره قدره وفسره، و المعنيان الأول و الثاني نصان في رؤية الجانب الحقي للأمر فالتدبير و التقدير حاجة إلى النظر و الفكر وكلهما يحتاجه الجانب الحقي من الأمر لا ظاهرة، وأما المعنى الثالث فهام، لان التفسير توضيح آيات القرآن وبيان معناها وأصبح التأويل في بيان معاني القرآن يطلق بالمعنيين الأولين وهما" التقدير و التدبير و السبب في وجود التأويل في النحو نظريات أصول النحو نظريات أصول النحو مثل العامل و المعمول و العلة و المعمول و القياس، وقد تماه النظر العقلي وأبدع فيه حتى وصل به إلى درجة التعمية و الإلغاز، ويتضح كتاب سيبويه أول أثر نحوي باقي يتضح أن التأويل فيه يتفق مع بداية النحو، كل شيء خلقناه بقدر، فإنما جاء على (زيدا) وهو عربي كثير وقد قرأ بعضهم (وأما ثمود فهد ينهام) إلا أن القراءة تخالف لأنه السنة، فالتأويل وجد في النحو بسبب النظر العقلي العميق الذي له دوافع غير مباشرة مثل تأثر الباحثين في النحو بطريقة الباحثين في العلوم التي صاحبته وعاصرته وبخاصة تأويل التفسير، أما أسباب المباشرة حقا فهي الأصول الأخرى حيث المتآمر النحاة النصوص اللغوية انتصار المتوافق مع تلك الأصول، وأهم مظاهر التأويل في النحو هي الحذف و الاستتار وصوغ المصدر و التقدير في الجمل و المفردات .

1: المرجع نفسه: ص159- 160

رأي ابن مضاء في التأويل:

لم يتغير في ابن مضاء للتأويل بطريقة مباشرة بل تعرض لمظاهره فقط وربما كان مرجع لذلك انه في كتابه مرتبط في نقاشه بما ناقشه النحاة، فسار معهم في طريقهم، ثم افترق عنهم بعد ذلك في الرأي.

أ- رأيه في الحذف:

كلمتا (مضمر ومحذوف) و(إضمار وحذف) تتبادلان التعبير عما يفهم من موضوع الحذف لدى النحاة، وكأنما تنبه ابن مضاء لتوارد هذين اللفظين بهذا المعنى فحاول بعد أن عرض رأيه في الموضوع ان يجد لدى النحاة تفرقة بينهما احتمالين:

الأول: المضمر هو لا بد منه و المحذوف ما قد يتغنى عنه.

ورد هنا ابن مضاء ذلك بان تحديد الإضمار هنا غير دقيق إذ قد يطلق على الحذف، وذلك أنهم يقولون: هذا انتصب بفعل مضمر لا يجوز إظهاره، والفعل الذي بهذه الصفة لا بد منه لا يتم إلا به، حيث قال: أيهما إذن يطلق عليه اسم المضمر الذي لا يجوز، أو الذي لا بد منه ، إذ هذا التحديد غير دقيق.

الثاني: "المضمر الأسماء و المحذوف الأفعال، ولا يقع الحذف إلا في الأفعال و الجمل لا في الأسماء"، وقدر ابن مضاء ذلك بان التفرقة غير ملتزمة في المجال العلمي فهم يقولون في قولنا(الذي ضربت زيد) إن المفعول محذوف تقديره(ضربته) و الضمير اسم بلا شك، وفي الحقيقة هذا التحديد يناقض مع ماجرت عليه كتب النحو تماما فقد أطلق الحذف على كثير من الأسماء، ومن هذا العرض السابق نستنتج انه اغرق بالحذف الذي يعلمه المخاطب، وسماه إيجاز واختصارا بناء على أن الكلام في حاجة إليه ورفض ما عداه بناء على النص لا يقبله فبعضه إن ظهر كان عبا وبعضه إن ظهر تغيرت الجملة وقد أيده ذلك بمناقشة الإضمار بطريقة منطقية.

ب- صوغ المصدر: فرق بين الجملتين قبل تأويل وبعد التأويل، بأن لكل منهما استقلاله واعتمد في هذه التفرقة على الدلالة.

ج- الاستتار: قدم حلا للاستتار الضمير في كل من المشتقات و القول كما وضع الجملة التي ترد فيها(أن) مضمرة وضعا لا إضمار فيه مقتصر أعلى الفاء و الواو اللتين ادعى الإضمار بعدهما ل أن مشيرا إلى أنهما نموذجان لغيرهما من الحروف التي تضمر بعدها، فقد كان لابن مضاء التنظير و التطبيق حول هذه النظريات بالاستشهاد.

الخاتمة

الخاتـمة:

بحمد الله أن وفقنا في إتمام هذه المذكرة وبعد، فإن جل ما قدمه ابن مضاء من أجل تسيير النحو العربي أمر كبير وفي غاية الأهمية، فبعد وصول النحو إلى ذروة التغيير و التعقيد لم يكن في وسع ابن مضاء إلا آن يضع كامل جهوده من أجل إخراج الباحث من متاهات أحدثتها كثرة الشروح و شروح التي قام بها النحاة.

لقد رأى ابن مضاء أن النحاة المشارقة حملوا النحو العربي ما لا يطيق من الأمور التي عني بها الأمر الذي أدى به إلى إلغاء كل ما هو غير ضروري وأهم جهود التي قام بها إلغاء نظرية العامل و العلل و تجاوز ذلك إلى إسقاط من القياس والتمارين الافتراضية كل مالا يفيد نطقا ويثقل النحو.

ونظرا لتأثر ابن مضاء بالمذهب الظاهري، أعلن ثورته على النحاة غير أن الدراسة أثبتت انه خالف الظاهرين في منهجهم في بعض المواضع.

فمثلا: ففي باب القياس نراه يعارض و يخالف الظاهرين الذين يرفضون العلة رفضا قاطعا، لكن ابن مضاء أقتصر رفضه على العلل الثواني و الثوالث.

أما بخصوص النحو المشرقي فنجد ابن مضاء أكتفي بالتعليق عليه لم يغير فيه شيئا وبهذا يكون ابن مضاء قد انتهج منهجا خاصا به في دراسة النحو العربي رغم تأثره بالمذهب الظاهري، فالمجهوذات الجبارة التي قام بها كانت في غاية الأهمية، حيث كان لنحوه التأثير البليغ في بعض

الباحثين، القدماء منهم و المحدثين كما أن التجديد الذي جاء صار محط الدراسات و ذلك يرجع لأهمية ما قدمه للنحو وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

ابن حزم الأندلسي: مراتب العلوم

ابن خلدون : المقدمة

ابن خلدون: الحصائص

ابن مالك الحياني :تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد

ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة

ابن منظور :لسان العرب

أبو اسماعيل القالي :الأمالي

أبو بكر الزبيدي :لحن العوام

ابو بكر الزبيذي :طبقات النحويين واللغويين

أبو حيان علي بن محمد التوحيدي :الإمتاع والمانسة

احمد الطنطاوي : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة

احمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

أمين السيد: الاتجاهات النحوية في الأندلس

بدوي أحمد أحمد :سبويه حياته وكتابه

برهان الدين :الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

التقريب لحد المنطق

جعفر نايف عبابنة :مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي

جلال الدين السيوطي : الاقراح في علم أصول النحو

جمال الدين أبو الحسن القفطي :إنباه النحاة على أنباه الرواة

حازم سليمان :تيسير النحو العربي إلى عصر ابن مضاء القرطبي

حسن عباس : اللغة والنحو بين القديم والحديث

خلف الأحمر :مقدمة النحو

خليل عبد المنعم :التجديد النحوي عند شوقي ضيف

الزجاجي :الإيضاح في علل النحو

سعيد الافغاني :من تاريخ النحو

الشمنتري الأعلم :النكت في تفسير كتاب سبويه

شوقي ضيف: المدارس النحوية

عبد البديع الخولي :الفكر التربوي في الأندلس

علي عبد الكريم : ابن مضاء وموقفه من النحو العربي

فتحي بيومي حمودة :مافات الانصاف في مسائل الخلاف

مبروك عبد الوارث : اصلاح النحو العربي

محمد المختار ولد أباه :تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب

محمد خيضر: أصول النحو العربي

محمد عابد الجابري :التجديد في النحويين بين ابن مضاء وابن رشد

محمد عيد :أصول النحو العربي

مطلق البير حبيب: الحركة اللغوية في الأندلس

معاذ السرطاوي :ابن وجهوده النحوية

الفهرس

فهرس الموضوعات

تمهيد

مقدمة .....

مدخل .....

الفصل الاول : دخول النحو إلى الأندلس

عناية الأندلوسيين بالنحو.....2.

الكوفي.....7

*ا*لبصري 8

دوافع تيسير النحو عند الاندلوسيين.....3

اشكال تيسيرو صوره.....10

الفصل الثاني:

تمهيد 11

مقدمة عن حياة ابن مضاء 12

جهود ابن مضاء في تيسير النحو:

جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو.....16

جهود ابن مضاء في تيسير النحو.....19

أسس ثورة ابن مضاء 23

اراء النحويين حول جهود ابن مضاء في تيسير النحو.....

الفصل الثالث :

إنكاره نظرية العامل.....30

إنكاره القياس.....37

التعليل 40

التأويل.....42
الخاتمة.....43
قائمة المصادر والمراجع .....